

د.كريم درويش

مُتحف الميتين

مجموعة قصصية – ٢٠١٧ م

الطبعة الثانية

مُتحف الميتين

اسم المؤلف	د. كريم درويش
المدير العام	نهى محمود سعد
مدير التوزيع	مصطفى الحلو
تجهيز فني	همت العزب
تصميم الغلاف	دعاء السيد
التصحيح اللغوي	أولي النهى للتصحيح اللغوي نهى محمود- خالد رجب عواد
الطبعة الثانية	٢٠١٧
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية	٢٠١٧/٩٦٧٢
الترقيم الدولي	٩-٠١-٦٦١٠-٩٧٧-٩٧٨

الجيزة/ ١٧ش حسن وهبة خلف كايرو مول

الهرم

موبايل /٠١٠١٤٦٢٤٢٨٨

البريد الإلكتروني:

Nohamahmoud.171186@gmail.com
elshahdpublishing2016@gmail.com

متحف الميتين

الجريمةُ السَّاحقة



تخيَّل معي أقوى إحساس بالملل مَرَّ بك في حياتك.. تخيلت؟ جميل.. تخيل أن هذا الإحساس مُستمرٌّ طوال ٢٤ ساعة يوميًّا مدة سبعة أيام في الأسبوع.. ضع هذا الإحساس في شابٍّ عاطل... لا يفعل ما يفيد.. وكل ثانية تمرُّ عليه هو مجرد وقت يضيع... بالطبع لن نكتفي بهذا القدر.. أيضًا لا يملك مالًا... ظننتَ هذا معروفًا.. هل تظن أن هذا أسوأ موقف يمكن الحصول عليه؟ فلتتخيل أيضًا طموحًا مسحوقًا.. وأملًا مطحونًا.. حسنًا.. يكفي هذا الآن.. لو تخيَّلتَ هذا فأنت تفهم تمامًا ما يُعانيه ذلك الطبيب الشاب المُكلَّف بالعمل في وحدته الصحية في كفر طهرمس كونه طبيبَ تكليفٍ... ولكن في هذا الطبيب ما يزيد الأمر روعة.. إنه قد ضاعَ من عمره أصلًا ما يقرب من ٨ سنوات في دراسته المُجْهِدَة في كليته... ذلك الطبيب الذي لا يفعل شيئًا تقريبًا.. لا يتعلم شيئًا... لا يحصل على شيء.. ولا يفيد أحدًا ولا يستفيد.. ولا يأمل في شيء ولا يطمح إلى شيء.. برغم اجتهاده في السابق للحصول على ذلك كله... طبعًا لا تحتاج إلى الكثير من الجهد لتفهم أن ذلك الطبيب هو أنا...

أنا وليد السيد.. طبيب بكفر طهرمس... تخيَّلني كما تريدُ.. ولكن أرجو ألا تتخيَّل شكلًا أنيقًا.. لا تتخيَّلْ حُللًا وربطات عُنقٍ منمقة.. أو ذقنًا حليقًا... أو

حتى تلك الحقائب من نوع السامسونايت... غير هذا لك مطلق الحرية..

سأختصر لك الموضوع أكثر... يبدأ الأمر برغبتك في إصلاح العالَم... ثم يتشكل بعد ذلك في رغبتك الملائكية في تخفيف الآلام عن البشر.. ثم كلية الطب.. ثم سبع سنوات من التضحيات حتى بأقل الأشياء التي تسعدك.. ثم العمل بجد واجتهاد والتضحية أكثر.... ثم... لا شيء... ثم تقاوم وتعمل.. وتقاوم أكثر.. ثم.. لا شيء.. ثم تغضب.. ثم الرغبة في الانتقام... أنا هنا الآن..

رغبة عارمة في الانتقام من كل ما آلت إليه الأحوال.. انتقام لكل ما ضاع مني.. لكل الآمال التي انهارت... لكل طموح قُتلَ...لقد أديتُ ما عليَّك من واجبات... لماذا لايعمل من عليه أن يعمل الآن.. كما عملتُ أنا؟ فتوصلتُ لنظرية بسيطة سآخذ ما هو لي... كما سُرقَ مني من سبع سنوات كل شيء.. سأسرقُ ثَمَنَ كل ذلك...

فكرتُ كثيرًا.. كيف تؤذي فقط من آذاك ولا تؤذي باقي الأفراد أذية مباشرة؟ هل تسرق بنكًا من البنوك؟ في النهاية أنت تسرقُ أموال ضحايا مثلك في هذا الوطن.. هل تتدرب على استخدام المطواة وتسرقُ مواطنين بالإكراه..

الفكرة نفسُها.. هل تسرق السيارات وغيرها؟ لن يُجدي هذا نفعًا ويحتاج إلى الكثير من التدريب الذي لم أتلقَّاه في كلية الطِّب...

النَّصب بكل أنواعه له ضحايا وغالبًا ما يكونون أصلًا هم ضحايا شظف العيش والغلاء وغيرهما من الظروف القاهرة في القاهرة..

التجارة في المخدرات.. لها الأبعاد الأخلاقية نفسها التي أنوي الإلتزام بها في انتقامي... حتى في انتقامي لن أكون مثل مَنْ سرقوني... التجارة في السلاح أخطر.

لم أجِدْ سوى الآثار.. لا أقصد الإتجار بها، فأنا لن أعملَ طويلًا بهذا المجال... فقط حتى أستعيدَ حقي المهدور... سأسرقُ قطعة أثريةً.. ويكفيني ثمنُها.. بالطبع سيضر هذا الناس ولكن بصورة غير مباشرة.. كذلك الكلام الفارغ من نوع الملكية العامة والإرث المصري.. المهم أنه لن يُضارَّ أحدٌ بصورة مباشرة.. سيضارُّ النظام الذي آذاني فقط..

أرجو ألا تكون قد فكرتَ بأنني سأبدأ بالتنقيب في أماكن مختلفة بحثًا عن بضع حُجريات أو عن تماثيل.. فهذا لن يحدث... أنا سأسرقُها من المُتحف... نعم من المُتحف.. آخر مكان يتوقعون أن يُسرقَ... دعني أُذكِّرك بحادثة مماثلة في مُتحف فني.. ولم يلحظ أحدٌ شيئًا..إذًا هذا هو الهدف المثالي... ولكن جراء خيبتي ودخولي كلية الطب.. لن أستطيع أن أتعامل مع كل ما تتطلبه المهمة وحدي... سأحتاج مساعدة.

سيد سيكو.. غالبًا هو المريض الوحيد الذي يعرفني وما زال يتردد عليَّ في الوحدة.. يدعونه سيكو لأن الترامادول سبَّب له هلاوس من العيار الثقيل؛ ففي بعض الأحيان يظن أن الأقمار الصناعية تُسلِّط عليه الإرسال حتى تسحب أفكاره عن طريق محطة القمر الصناعي في المعادي -التي بالمناسبة ليس لها علاقة بذلك- فقد انهارت خلايا مخه.. سَبَبُ مجيئه الوحيد للوحدة أنه يظن أنني من الممكن أن

أصرف لـه الترامـادول في روشـتات... وقـد أقنعتـه في مـرة مـن المـرات أن الفلومـوكس -وهـو مضاد حيـوي- مـن الممكـن أن يفـرغ كبسولاته ويستنشقها كالهيروين.. أو يطحن عليها بعضًا من دواء الإنتوسيد -دواء للإسهال -.. فرح بهذه الخلطـة بـالطبع...وأخبرني أن لها تـأثير السحر خاصـة أنـه يستنشقها هـو وأصدقاؤه... وأن بعض أصدقائه صار يسرق منه شرائط الإنتوسيد.... وبدأ في الـتردد إليَّ لمعرفـة الأسرار الـسحرية للخلطـات.. نـصحتُه أيـضًا بمُـدرَّات البـول وغيرها من الأدوية التي لا تمتُّ بصلة للترامادول التي يؤكد أن لها التأثير نفسه..

مـا زلـتُ مقتنعًـا أن ذلـك خـيرٌ لـه فهـو يُبعـده بـشكل أو بـآخر عـن الإدمـان الحقيقـي... في النهايـة صـار يـدين لي بمعـروف...أخبرتـه بـأن عنـدي مـشروعًا قـد يُغنينـا بقيـة العمـر... وأخبرتـه بـما أنـوي فعلـه...فجحظـت عينـاه.. ولم يُصدِّق أني أقولُ ذلك في بادئ الأمر.. ظنًّا أنه كمين.. وأخبرني أنه يُحب هذا البلد وأنه قد يموت فداءٌ له.. وفداء لمحسن بيه طاهر مأمور قسم كفر طهرمس لأن خيره عليه وعلى أولاده برغم أنه لم يتزوج... وعندما أخبرته أنني لا أُسجِّل لـه.. وأثبتُ لـه أنني لا أحملُ ميكروفونًا.. عندها قال إنه كان يفكر في هذه الفكرة منذ زمن ولكنه لا يعرف كيف يبدأ لأنها تحتاج إلى تخطيط جيد لا يمكن أن ينفذه وهو تحت المراقبة... أخبرتُه أننا سننتظر انتهاء مدة المراقبة، وإنه سيفكر في كيفية التنفيذ حتى نتقابَل... وأخذًا في الحيطة... لن نتقابل حتى ذلك الحين... سأكلمه أنا في التليفون..

صحوتُ صباحًا.. كل شيء جاهز، ساعة الصفر تبدأ من هنا.. كل الأفكار في مخي تتقافز.. إحساس السعادة ودنو نهاية العذاب تقترب..

رفعت سماعة التليفون... اتصلتُ بسيد...جرس... فتح السماعة

"ألو.."

" ألو... سيد... أنا الدكتور وليد.."

"أهلاً بيك يا أخويا.." فرددتُ وقد تفاجئتُ:

"نعم!!!"

"ماهو من ساعة ما الجزمة ده باعلي الموبايل بالخط وانا ما عنديش شغلانة غير إني أرد على ألاضيش سيادته... ما احنا خدامين الجزم بقى.."

" لا يا فندم.. أنا الدكتور...طب ألاقيه فين؟"

"وحياتك لولا إنك قلت إنك دكتور وشكلك ابن ناس.. كنت سمعتك ما تكره.. اتصل بيه يا سيدي على النمرة دي "....." أنا جاره.. وقوله أبو حسين جارك بيقولك لو حد من الشمامين اللي تعرفهم كلمه تاني.... هينزل يديك علقة ماخدتهاش في قسم بوليس يا ابن...."

وأغلقتُ الخطَّ... إذًا سيكو باع الموبايل.. قد يكون الجانب المشرق في الموضوع... أنه في حاجة للمال... وهو الدافع الوحيد للعمل الآن...

اتصلتُ على رقمه الذي أعطاني إياه جاره أبو حسين، وهو رجل لطيف كما رأيت.. جرس.. فتردُّ سيدةٌ:

"ألو..."

" يادي النيلة... هو حضرتك سيد باعلك إنتِ كمان الموبايل والخط وألا إيه..."

" لأ يا أخويا أنا مراته..."

"أهلًا بيكِ.. طب ممكن أكلمه.. قوليله الدكتور وليد.."

وهنا ينطلق نداء لسيد الذي يبدو أنه في عالم آخر...و يأتي صوته.. "أيوا مين؟"

"دكتور يا أخويا.. وإنت من إمتى تعرف ناس نضيفة..."

فيرد:

"طول عمري... قعدتي معاكِ هي اللي قاصفة عمري..."

فيردُّ سيد أخيرًا على الهاتف...

"ألو..."

"أيوا يا سي زفت... أنا دكتور وليد..."

"يا باشا ما إنت كلمتني قبل كده... وقلت لك فلوس الترامادول و الابيتريل والذي منه هجيبهملك... بصرف أم البضاعة وبلم فلوسها.. يا عم يحرم عليا القرش اللي أسرقه منك يابا.."

"ترامادول إيه يا أهبل... أنا دكتور وليد بتاع الوحدة..."

" الوحدة... وحدة إيه... مش إنت دكتور وليد الصيدلي.."

"أنا دكتور وليد.. بتاع المهمة... الآثار.. والمُتحف.. "

" أأأأأه... الباشا... طب إيه كلمة السر.."

" كلمة سر إيه...؟ "

"هو احنا متفقناش على كملة سر.. ؟"

"لأ.. "

" طب خير... ها يا باشا أُمرني.. الدنيا إيه...؟"

" خلاص هنبدأ"

فرد في انتصار :

"الله أكبر.. ياباشا ده انت جيت في وقتك..."

فقلت له:

"معلش المهمة كانت محتاجة تكتيك...

فرد :

"طب هنتقابل امتى... لا زم نظبط الدنيا على الآخر..."

فقلت له:

" كمان أسبوع... في... "

فقاطعني قائلاً:

"لأ.. موضوع المكان سيبه عليا..أنا اعرف نروح فين ونيجي منين عشان ما نتلقطش.."

قلت له:



"وهو كذلك...كلمني كمان أسبوع..."

وأغلقنا الخط على وعد باللقاء.

اللقاءُ السَّاحق

بعد أسبوع... يرنُّ هاتفي... سيد ..ففتحتُ الخطَّ فوجدته يتكلم بصوتٍ خفيضٍ:

"ألو... دكترة.. انهارده الساعة ٧..من عند ميدان العبور.. يمين في شمال... ويمين تاني في شمال.. عند صيدلية سماح مش هقدر اتكلم أكتر من كده عشان السرية.. سلام.."

وأغلقَ الخط... إنه معتوه حقًّا.. يعتقد أننا في فيلم من أفلام هوليود ذات الإثارة والتشويق..

يرنُّ مرةً أخرى:

"ألو.. ممكن نخليها ٧ ونصف..؟"

رددتُ بالإيجاب.. فأغلقَ الخط بنفس الطريقة، ثم وجدته يرنُّ مرة أخرى: "خلينا نتقابل على ٩ عشان أكون ضامن الوقت.. معلش آخر مرة.."

ثم أغلقتُ في وجهه الخطَّ...

أشارت الساعةُ إلى التاسعة.... ميدان العبور.. لاحظ أن هذه ليست مدينتي... يمين في شمال.. يمين في شمال.. يوجد صيدلية اسمها نوال... اتصلتُ به..

"سيد... أنا عند صيدلية نوال.. "

"أه دي أخت سماح.. "

"طيب يبقى أنا كده قربت ولا إيه..."

"لأ إنت كده تبقى في منطقة تانية خالص.... امشي في الشارع لأخره وبعد كده شمال في أول يمين.."

التزمتُ بما قاله فوجدت صيدلية الدكتور سعيد... فاتصلت به مرة أخرى

"يا سيد في صيدلية الدكتور سعيد... "

"أه ده أخو سماح.."

"أه كده أنا في منطقة تانية خالص... صح؟"

" لأ كده إنت وصلت.. خليك عندها وأنا هنزلك.."

"نعم!!... أُمَّال إيه سماح دي..."

"سماح دي الي شغالة في الصيدلية.."

"وحياة أمك..!!"

" ماهو أنا مينفعش أقول كل حاجة كده.. قدر احنا متراقبين... يا بيه الموضوع لازم تاخده بجدية عن كده".

يا معتوه يا ابن المعاتيه... يا رب...ارحمنا.. ثم رددتُ بيأسٍ:

"طب أنا مستنيك... انزل واخلص"

مرت ربع ساعة كاملة لم ينزل فيها سيد، ثم رنَّ هاتفي المحمول..إنه سيد..

فرددتُ:

"ألو يا سيد.."

"أيوة يا باشا.. بقلك.. اطلع إنت... أنا مش قادر انزل بصراحة.. الدور التاني.."

قمة العته.. قمة الغباء.. إنه لا يشعر بما نحن مقبلون عليه.. قلقي يتزايد على المهمة...و لكن لن أستطيعُ الاستغناء عنه.. دخلتُ من باب العمارة..الدور الثاني... الباب مفتوح.. رائحة الحشيش تملأ المكان.. دخلت شقة حقيرة المستوى.. تُذكِّرني بالوحدة التي أعملُ بها... فجأة يظهر رجل ضخم يرتدي الحد الأدنى من الملابس الممكنة... فيتفاجأ بي داخل الشقة.. فيقول بتهديد...

"إنت مين يا جدع إنت.."

"أنا عايز سيد..."

" الله يخرب بيت سيد على سنين أهله السودة..هو انا اخلص منه في التليفون.. يطلعلي صحابه في الشقة... عارف لو ما غورتش من هنا يبن الـ..... هديك بالجزمة إنت وهو... "

فجأة يظهر سيد من خلفي...

"معلش يا أبو حسين.. ده الدكتور كان جاي عشان أنا عيان هيكشف عليا.."

فيرد أبو حسين:

"طب ما يطلعلك شقتك يا عين خالتك... أنا مالي بيك إنت وهو وعليَّ الطلاق يا سيد لو ما غورت دلوقتي إنت وهو ل هكون مسيّح دمكم يا ولاد الـ...."

فهربنا أنا وسيد وأنا لا أفهمُ شيئًا.. فنظرتُ إلى سيد وقلتُ له:

"الراجل ده في شقتك ليه؟"

"ماهي دي مش شقتي.."

"مش إنت قلتلي الدور التاني...؟"

"معلش يا دكتور.. أنا قلت ليكون حد مراقبك وألا حاجة.. فعملت إني هنزل وكده وبعد كده ما انزلش".

ثم ضحك بخبث كأنه ديفيد شارل سمحون مثلًا بحركة غبية كهذه.. ثم استطرد:

"..وقلت لك إني في الدور التاني وأنا في السطوح... وإنت طلعت بسرعة قبل ما ألحقك على السلم وأقلك.."

وتزيد المفاجآت مع احتياطات سيد الأمنية.. يدخلني شقة تمتلئ بالحشيش حتى يتأكد أني غيرُ مُراقَبٍ... بغض النظر عن أنه لا يوجد مَن يراقبني أصلًا.. فلا يعرفني غيره أصلًا في هذه المنطقة.

"قبل ما تلحقني إزاي... مش إنت اللي قايلي اطلع يا أغبى البني ادمين... "

"يا بيه ما أنا كنت هموت وادخل الحمام... قلت عقبال ما تطلع أكون دخلت وجيت لك.."

" حرام عليك يا سيد.. حرام عليك.. أبوس إيدك ارحمني.. مش هتبقى إنت والدنيا عليا.. "

"يا باشا أنا معاك لآخر المطاف.. أنا مجهز الخطة خلاص.. إنت هتشوف الكلام اللي هيعوضك عن ده كله... كل ده بس إجراءات أمنية".

"متشكرين عالحيطة والحذر بس أرجوك ما تفكرش تاني... "

"يا باشا إنت المخ وأنا المخيخ..."

لن أسأله عما يقصد.. فهو لا يعرف المخيخ ولا معناه ولا وظيفته

وسيجيب بإجابة غبية تصيبني بالشلل الرعاش، وسأصبح أول حالة تصاب به لحظيًّا...

دخلنا شقته... لن تحتاج أن أُخبرك أنها أحقر من سابقتها.. قلت له إنني سأنتظره في السطوح... حتى يأتيني ونبدأ في التخطيط.. وجدت أريكة متهالكة أكلَ عليها الزمن وشرب... بلا مسند... تستند على السور.. أمامها منضدة تضاهيها في القدم.. ومقعدان مثلهما.. فجلست عليهما في انتظار سيد الذي يظن أنه عميل مخابراتي تطارده الدول العظمى معظم الوقت.. وجدته أتى بصحيفة عليها كوبان من

الشاي.. ثم ذهب وأتى بخريطة كبيرة... يبدو من شكلها أنها خريطة من تلك التي يستخدمها الطلاب، ثم فردها على المنضدة وبدأ في الشرح..

"بص يا باشا.. أنا بعد ما فكرت كتير... جبت خريطة أسوان... دي أكتر مكان ممكن يكون فيه آثار.. ده الشمال وده الجنوب وزي ما حضرتك شايف ده الشرق والغرب.. هندور احنا من فوق لتحت.. هنبدأ نحفر في أماكن متفرقة... غالبًا هنحتاج رجالة معانا حوالي ١٣٠ فرد.. دول أمرهم سهل.. ننزل على الطريق نجيب عيال فواعلية من الصعيد... ونشغلهم في الموضوع ده.. واللي نطلع بيه من التماثيل... هنوديه السعودية...ابن عمي عايش هناك.. نخبيهم عنده لغاية ما الجو يهدي ونسافر له.. نبيعهم ونيجي..أو نخبيهم في البحر.. بس طبعًا نلفهم ببلاستيك عشان الملح في الملاحات..."

طبعًا بعد كل المعلومات القيمة التي أسمعها من الخبير الأمني والسياحي سيد وخصوصًا قصة الملح والملاحات قررت مقاطعته:

"إيه اللي انت بتقوله ده يا سيد؟"

"دي الخطة.."

"خطة إيه.. إنت عارف احنا هنسرق آثار.. مش هندور على أبوالهول الجديد... وبعدين ١٣٠ راجل دول لما نجيبهم..مين هيدفعلهم..هو احنا هنفتح شركة؟!.. وبعدين لما حد فيهم يبلغ عننا... احنا هنسرق يا سيد.. ما تفوق بقى الله يهدك..."

"أوبا... فاتتني دي..عندك حق طب احنا هنعمل إيه؟"

" يا سيد احنا هنسرق حتة اثار من المُتحف... "

"حلو أوي..."

وتوقَّف لحظةً.. كأنه جهاز كمبيوتر تكاثرت عليه البيانات، فيأخذ وقته في معالجتها... ثم قلب الورقة التي عليها الخريطة.. وقال:

"أدي المُتحف... وأدي المدخل.. كده هنحتاج ١٢٠ راجل تقريبًا يحوطوا المكان.. دول موجودين.. وممكن نخليهم يحدفوا المُتحف بالطوب عشان نعمل تشويش على قوات الأمن ساعة الهروب.. "

"بس إنت متأكد إننا كده مش محتاجين طيارة؟"

قلتُها ونظرت إليه نظرةً طويلة تعكس حجم الورطة التي أنا فيها الآن

وأكملتُ:

"بص يا سيد.. أنا عامل الخطة.. وعارف هنعمل إيه بالظبط...

و هقولك على دورك وهقولك هتعمله إزاي كمان.. أبوس ايدك بطل تفكير... "

"حاضر... بس آخر حاجة بقى في التفكير.. في فرد أنا لقيت إننا محتاجينله في العصابة معانا.. ولقيته هيفيدنا أوي...قلت أجيبه معانا نستفيد من خبرته وكده.."

هنا زاد جحوظ عينيَّ.. ودُهشتُ وتفاجأتُ..

"أرجوك يا سيد..اوعى تقولي إنك قلت له على حاجة..أو إنك قلت على المهمة لأي حد.."

"بصراحة قلت له... بس هو هيفيدنا جدًّا..."

" هو مين ده.."

" **ده يبقى الـ...**" وفجأة دخل أحد الأشخاص ينادي على سيد... فرآه سيد فاتَّجه له وسلَّم عليه بحرارة.. ثم التفت إليَّ وقال..

"أهو يا سيدي اللي كنت بكلمك عليه... عم محمود.."

ثم التفتَ إلى عم محمود...

"ده الدكتور وليد يا عم محمود.. هو الزعيم.. والمخطط للحوار اللي حكيتلك عليه.."

فسلَّم عليَّ عم محمود...هو رجل في الأربعينيات...أسمر الوجه قليلًا، لديه شارب لا يختلف عن أي شارب قد تجده في الشارع..

فقال عم محمود...

"أهلًا بيك يا دكترة.."

سألتُ سيد :

"وعم محمود بيشتغل إيه يا سيد عشان يفيدنا بكل مهاراته بقى..؟ "

ردَّ سيد بكل ثقة:

"أمين شرطة.."

ساد الصمتُ الرهيب... صمت الصدمة لديَّ.. وصمت الثقة عند سيد.. وصمت اللاشيء عند عم محمود...

لقد تخطينا الآن مرحلة الورطة.. إلى مرحلة التسليم للحكومة... عندما تماسكت كلماتي قلتُ لسيد...

"إنت عبيط يا سيد... إنت كنت بتفكر في إيه.. إنت كنت بتفكر أساسًا؟"

"يا دكترة إنت قلقان من إيه؟ ده عم محمود ده اللي مربيني.. ده غير إنه خبرته في الحاجات الأمنية هتفيدنا وخصوصًا في موضوع الآثار ده.."

" ليه هو أمين في شرطة السياحة.."

" لأ في المرور.."

"الله يخرب بيتك وبيت اللي خلاك تفكر في يوم من الأيام.....وبيت اللي شغلك معايا... يا رب دي تبقى آخر حاجة إنت فكرت تعملها... وياترى ده بس اللي قلتله... وألا لسه هتفضحنا كمان؟"

"لأ محدش تاني قلتله... غير... سماح.."

" سماح مين...؟"

"خطيبتي..."

"أمَّال اللي ردت عليا في التليفون دي مين؟!!... قالت إنها مراتك.."

"أه ما هي بتقول كده لما بتبقى في الشقة.."

"الله يهدك... ودي قلتلها ليه؟!"

" يا دكترة مينفعش أبدأ علاقة مبنية على الكذب.. لازم أصارحها بكل حاجة.."

لن أستمرَّ في الجدال... لن أستمر... لن أُعطيه الفرصة كي يقتلني بالضغط العالي... قال لي وقد وجدَ هاتفه يرنُّ..

"أستأذنك يا دكترة تشرح لعم محمود القصة بتاعتنا... عقبال ما أرد..."

بدأت في شرح الموضوع لورطتي الجديدة.. عم محمود بدأ في الاستماع.. لا أعرفُ إن كان يفهم أم لا.. لا أعرفُ إن كان كمينًا أم لا.. ولكن عزائي الوحيد أنه إن كان كمينًا فلا فكاك منه... وإن لم يكن فقد يفيدنا كونه فردًا ثالثًا في المهمة...

أسمعُ من بعيد صوت سيد يتحدث، يبدو أنه يتحدث لهذه السماح:

"إيه... أمك مش مصدقة إني هسرق المُتحف... طب قولي لأمك بقى يا سماح.. ان المُتحف ده هيتقشط بالكتير على الأسبوع الجاي... عشان هي مضطهداني من زمان وأنا عارف أسلوبها.."

هنا سكتُّ عن الشرح لعم محمود... فهذا كثير عليَّ.. سكتُّ فجأةً ولن أُكمل... يجب أن أرتاح قليلًا من كل هذا... يجب أن أرتاح وأن أُغمض عينيَّ قليلًا...

الخُطَّةُ السَّاحقة



شربتُ كوب الشاي... وجلس عم محمود يفكر... وانتهى المصيبة سيد من التليفون...

ثم قال عم محمود.. في تَوْدةٍ وخبرةَ من لا خبرةَ له...

"طيب يا دكتور مفكرتوش تسرقوا المُتحف الإسلامي؟... أسهل وأأمن.."

هنا قاطعه سيد بحزم:

"أستغفر الله العظيم يا عم محمود.. إنت عايزني أغير فكرتي عنك ليه.. ده أنت راجل تعرف ربنا.."

نظرتُ إليه فاعتقد أني أوافقه في الرأي فاستطرد:

"وبعدين هنسرق إيه من المُتحف الإسلامي.. في الآخر هناخد مصاحف وسبح.. مش هتجيب همها.. يا عم محمود خلي ربنا يباركلنا.."

و بدا على عم محمود أنه اقتنعَ.. قبل أن يُصيبنا سيد بتحفته الثالثة..

"فيه حاجة كده لازم أقلكم عليها.. قبل ما نبدأ".

وضعتُ يدي على قلبي.. سيد مُصِرٌّ أن يحوِّلَني لمريض ضغط أو مريض جلطة... أيهما أقرب..

هنا قال سيد :

"يا جماعة.. اللي هنكسبه من العملية دي.. لازم نطلع منه جزء لأهل الخير.. وأنا سألت شيخ في الموضوع ده.. قاللي لازم نطلع ٢,٥ في المية.."

هنا قلتُ له:

"سألت شيخ قلت له إيه؟"

"قلت له إن ربنا هيرزقنا بفلوس يعني من مصدر مش هقدر أقوله عليه.. أطلع أد إيه منه لأهل الخير.. فقاللي الـ ٢,٥ في المية.. وأنا بقول إن الجزء ده يبقى من نصيبك يا دكترة عشان إنت صاحب الفكرة.."

فرددتُ وقلتُ:

"وماله.. أول ما أخد الفلوس.. أطلع على دار الإفتاء أديهم الفلوس.."

فرد في رضا :

"كده يبقى تمام نبدأ بقى.."

بدأتُ أشرح لهم فكرة المُتحف وفكرة السرقة..

"بصوا بقى المُتحف ده في آثار كتير أوي.. أنا مقسمهم لحاجات معروضة وحاجات في المخزن مش معروضة.. وفي غالية أوي وحاجات نص نص"

"طبعا احنا هنسرق اللي مش معروض وغالي.."

ردَّ عم محمود..

"لأ يا عم محمود صعب نوصل للي مش معروض... والغالي.. العين عليه.."

ثم استطردتُ وقلتُ:

"أفضل حاجة احنا نسرق واحدة وألا اتنين من النص نص.. ومن الحاجات المعروضة.."..

فردَّ سيد:

"ساعتها يبقى جابت همها.. والعين مش عليها.. الله ينور هو ده الشغل... بس قوللي بقى الجزء المهم.. الأول إزاي هنتجاوز السياج الأمني.. و الليزر المشع؟.. ده غير مجسات الحرارة.. وعوازل الصوت وحساسات الانتفاخ و..."

نظرت لسيد:

"سيد إنت فاهم إنت بتقول إيه..؟"

ردَّ في ارتباكٍ:

"بصراحة أنا قعدت مع أبو حسين واتفرجنا على يجي ١٥ فيلم سرقة وكلهم فيهم الحوارات دي...وأهم حاجة حساسات الانتفاخ.. عشان بتنفجر.. المُتحف متأمن جامد يابا ما تستهترش بالموضوع ده..."

نظرتُ له باحتقار:

"بس يا أهبل.. إنت فاكره مُتحف اللوفر!.. آخر التأمين اتنين عساكر

والبوابة اللي بتكشف عن الحديد.... مش تقولي حساسات انتفاخ... المهم احنا هندخل المُتحف الصبح.. ونستخبى في الحمام..."

هنا قاطعني سيد كأنني أهنْتُه:

"نستخبى في الحمام! إيه شغل مدارس الابتدائي ده يا زعيم.. ده أنا في ثانوي كنت بعمل فقرات أجدع من دي... ده أنا مفهم البت سماح إن احنا هنعمل شغل عالي.. ده أنا مفهمها إني هنزل على سطح المُتحف بهليكوبتر وأنا ماسك نص آلي... يا بيه فكر كويس الله يهديك.."

رددتُ بفارغ صبر:

"يا سيد الكلام ده في الأفلام... احنا مش محتاجين ده كله... واللي إنت بتقوله ده كتير أوي.. مش هنعرف نجيبه وكل اللي هيحصل إن احنا هنكبر الموضوع بس.. يا سيد فوق بقى احنا في الواقع مش الأفلام.."

لم تظهر على وجهه سوى علاماتُ عدم الاقتناع... فأكملتُ ما بدأتُه:

"أول مرة هتدخل إنت يا سيد المُتحف.. هتروح على الحمام...هتختار كابينة في الحمام.. هتحفر في الحيطة مكان صغير كده قد ٦ سم × ٦ سم"

"حلو... ده سهل.. أجيب أجنة وشاكوش من عند أبو حسين.. وانطلق... اعتبرها تمت.."

"لأ يا فالح.. أولًا البوابة الحديد مش هتعرف تدخل منها بالحاجات دي..

ثانيًا ما ينفعش تعمل صوت تكسير في الحمام.. ما تبقاش أهبل.. آخرك هتاخد معاك مفك صغير... هتحدفه من برة المُتحف لجوه.. "

"طب واخده تاني إزاي ما دام هحدفه...؟"

"ما إنت هتدخل جوه هتلاقيه مرمي في الجنينة... يا سيد الموضوع ده عايز تركيز.... هتعرف تدخل تحفر في الحيطة؟ ده غير إن البلاطة اللي هتحفر مكانها... هتحطها تاني مكانها مش هتكسرها يا فالح.. عشان ما حدش يعرف احنا عملنا إيه.. "

"يا بيه ما كنت تجيب مبيض محارة بقى بدل الحوار ده كله.. أنا مش فاهمك.."

" هقولك.. دلوقتي إنت أول يوم هتحفر وتمشي وكأن مفيش حاجة حصلت.. تاني يوم وبما إن معانا عم محمود بقى مهمته إنه لما يدخل يتعرفلنا على العساكر اللي جوه.. ويسألهم لما بيحصل قلق.. مين بيجري فين...وإيه اللي بيتقفل الأول قبل إيه.. "

فردَّ عم محمود :

"إعتبره حصل..أنا ليا ابن اختي أصلًا عسكري خدمة في مُتحف الجيولوجيا في المعادي هسأله لو ليه أصحاب في المُتحف وأجيبلك الأخبار دي.."

فنظر له سيد في رضا ونظر لي نظرة:

"مش قولتلك هينفعنا"..

ونظرتُ أنا إليهما الاثنين ولم أنطقْ، أكملتُ حديثي:

"تاني يوم.. القطعة الهدف اسمها الملك سنفرو.. دي صورتها.. موجودة في الدور الأول الركن اليمين في الآخر... ركز في صورتها يا سيد...عم محمود من بره ومن غير ما حد يلاحظ... هيحدف طوبة صغيرة على أي لوح إزاز في أي قطعة آثار موجودة... هتعرف يا عم محمود؟ "

"إعتبره حصل... بس ليه مش هنخبط اللوح الإزاز بتاع الملك سنفور... مش ده اللي هناخده..؟"

"لأ مش ده سيد هيكون واقف عند الملك سنفرو.. لما يلاقي القلق حصل والناس اتجمعت عند لوح الإزاز المكسور.. هيطلع قاطع الإزاز... هتدخله يا سيد زي ما دخلت المفك..وتخلص على الحتة بتاعة الملك سنفرو وهتلاقي كمان حتة جنبها تاخدها.. "

"طب واهرب إزاي؟"

قال سيد في قلق..

" لأ مش هتهرب... إنت هتطير على الحمام.. فاكر البلاطة اللي إنت شيلتها من مكانها.. تشيلها وتحط جواها التمثالين وتخرج وإنت عادي خالص.."

"طب واسيب التماثيل؟.."

"أه هتسيبها أسبوع.. لغاية ما الجو يهدى وساعتها هنخرجهم بطريقتنا.."

هنا توقف الجميع عن الكلام... لا أدري، أمِن فهمهم العميق للخطة.. أم من عدم فهمهم؟ فسألتهما: أيوجد لديهما أي استفسارات؟ **فقال سيد** :

"هي تحس إنها سهلة.. بس هي جامدة.. بس إنت متأكد إنها هتجيب مع الناس دي.. يعني موضوع الحمام ده هو آخرهم في الموضوع...؟"

فرددتُ عليه:

"أه يا سيد ده آخرهم.. خلي بالك بس من الكاميرات.."

هنا ردَّ سيد سريعًا:

"أه الكاميرات.. سهلة دي... أول ما أدخل أرش دوكو على الكاميرات.. عشان ما تصورنيش.. كله معمول حسابه.."

رددتُ عليه بيأسٍ:

"أه ترش عليها دوكو.. عشان بعدها بدقيقة تلاقيهم جايبينك من قفاك وبيمدوك على رجلك في أقرب قسم.."

ثم أكملتُ:

"يا سيد انت تخلي بالك عشان وشك ما يبانش فيها..عشان متتعرفش.."

"تمام"

قالها سيد..

قلتُ وقد بدتْ ملامحُ الجِديَّةَ والخطورةَ على وجهي:

"هننفذ العملية بكرة.."

فقاطعني سيد :

"**لأ بلاش بكرة.. عندي حاجة كده هخلصها**.."

"خلاص بعد بكرة... عندك حاجة إنت كمان يا عم محمود.. ممكن نخليها الأسبوع الجاي لو عايز.."

ردَّ عم محمود أنه موافقَ..

"يبقى بعد بكرة سيد هيدخل يظبط الحفرة في الحيطة وإنت يا عم محمود هتشوفلنا موضوع العساكر والأمن.. وأنا هبقى موجود طول الوقت على التليفون معاكم خطوة بخطوة..."

المُهمةُ السَّاحقة

بدأنا في اليوم الموعود، كنتُ على مَقرُبةٍ من المُتحف... لاشيء غريب، أنا أتحدثُ في التليفون... نسيتُ أن أُخبركم أن عم محمود جلبَ لنا هواتف محمولة ذوات تقنية الحديث الجماعي حتى نكون كلنا على نفس الخط.. في الوقت نفسه.. ولن أسأله عمَّ فعل ليأتيَ بها.. فأفضل إجابة ستكون أنه سرقها من أحراز المتهمين عن طريق معارفه في القسم...

قلتُ في السماعة:

"أيوه يا سيد.."

ردَّ في صوتٍ منخفض:

"أيوه يا دكترة..... مش كنا نأجلها يومين وألا حاجة.. الدنيا حر أوي.."

"معلش يا سيد.. ها.. رميت المفك..؟"

"أه رميته.. أنا جوه دلوقتي.. على فكرة أنا دفعت تذكرة مُتحف.. الجزء ده هيتخصم من نصيبك يا دكترة..عشان إنت صاحب الفكرة.."

"حاضر وهديك كمان تذكرتين دريم بارك.. إخلص بقى... ادخل الحمام اختار كابينة واحفر الحفره اللي اتفقنا عليها.."

"كفاءة.. أنا دخلت أهو.. في يافطة مكتوب عليها حمام.. نيسبتتلد...كمشنسيتـ... هشهششش"

"سيد... الشبكة وحشة عندك.. سيد..."

انقطعَ الخطُّ عن سيد لسوء الشبكة...ولكن آخر الأخبار إنه في الحمام.. أظنُّةأن تلك المهمة قد تستغرقُ ساعةً في أفضل الأحوال...

مرَّت ساعة لم أسمع منه شيئًا... بدأ المهمة الساعة ١٠.. تمرُّ الساعة تلو الأخرى...الساعة الثانية عشرة...الساعة الواحدة..الثانية...المُتحف يغلق أبوابه... وسيد لم يظهر.. احتمالات أن يُقبض على سيد كبيرة الآن... لن أدخلَ ولن يدخل أحد.. سأذهب في هدوء.. أن يُقبض على واحد خير من أن يُقبض على ثلاثتنا..

سيد يظهر.. بواب يمسكه من تلابيبه ويدفعه خارج باب المُتحف.. ولا ينسى أن يصفعه على قفاه صفعة محترمة... سيد يعترض ويقول كلامًا لا أفهمُه... ابتعدتُ.. أراهُ من بعيد.. بعدما انفضَّ كلُّ مَن حوله وتأكدتُ أنه غير مُراقَب تحدثتُ إليه عبر الهاتف:

"إيه يا سيد..؟"

"أنا وراك أهو.. تعالى.."

نظر خلفه فوجدني على مسافةٍ منه... فأتى..

قلتُ له في حيرةٍ وتوجُّس..

"إيه اللي حصل؟.. إنت اتمسكت وألا إيه؟!..٥ ساعات يا سيد..؟!"

"اسكت يا دكتور ده حصل معايا حوار كبير أوي.."

"الله يهدك إيه اللي حصل..؟"

"إنت قولتلي أدخل أي كابينة في الحمام واحفر فيها.. أول ما دخلت الحمام.. الشبكة اتقطعت.. فاتقطعت عني التعليمات من مركز القيادة اللي هو انت.. عشان كده.. عملت اللي عملته.."

" هببت إيه.....؟"

"لقيت تلات حمامات... دخلت اللي في النص.."

"يعني إيه اللي حصل..؟"

"ما هو لما دخلت اللي في النص.. قعدت أحفر في الحيطة.. لغاية ما دخلت على الحمام اللي جنبي.."

"الله يخرب بيت غباوتك..."

"مش دي المشكلة.. المشكلة إن كان في واحد في الحمام اللي جنبي.. افتكرني بعمل كده عشان أراقب الناس اللي في الحمام.. قعدت ألّمح له إني بعمل خطة.. وحلفتله إني مش اللي في دماغه مصدقنيش.. المهم معرفتش أطلع منها غير لما عملت فيها أهبل ومعوق ذهنيًّا.. وصدقوني بالعافية.."

"مش عارف إزاي صدقوك بالعافية! المفروض يصدقوك من غير ما تعمل حاجة.. من غير ما تعمل يا سيد..."

ثم ركلتُ حجارةً كانت في الطريق بغضبٍ:

"يعني في الآخر... ما عملتش حاجة..؟"

"عيب عليك يا دكترة.. دي أول مرة بس.. إنما أنا دخلت تاني وعملت الحفرة.. ودي المرة اللي قفشوني فيها تاني بقى... "

"الله يخرب بيتك.. إنت مش غبي.. إنت متخلف..."

"ماهو الراجل قاللي هو إنت الواد الأهبل برضه.. وقعد يضرب فيا لغاية ما طردني بره.."

"طيب محتاجين نقعد النهارده نشوف المستجدات..الناس دي أكيد عرفتك.. هنشوف هنعمل إيه في الموضوع ده "

انتهينا يومها واجتمعنا في نفس المكان...قلتُ وأنا أنظر لسيد وعم محمود..

"احنا هنعمل تغيير في الخطة.."

قال سيد:

"ليه؟ ما الخطة ماشية عال العال أهو.."

"أه طبعًا ماشية عال العال... أمال القفا الميري اللي طرقع النهارده ده... كان على قفا مين؟! ما علينا..عامة التغيير في صالحنا..."

أطرقتُ قليلاً ثم استطردتُ:

"موضوع إن احنا نخبيه دي مش في صالحنا أوي.. غالبًا كمان لما هيعرفوا إن

حتة الآثار مسروقة ممكن ميبقاش عندنا فرصة نخرجها.."

"أوباا.. صح الكلام.. هنعمل إيه طيب...؟"

"عم محمود... سألت لنا على الحراسة؟"

ردَّ عم محمود:

"الصبح ما بيبقاش في أكتر من اللي شفناه.. أمن عمال بيلف وخلاص.. بالنسبة للحتة بتاعة الملك سنفور دي.. محدش بيعبرها تقريبًا..."

تَوجهتُ إلى سيد:

"بص يا سيد عشان هم عرفوا شكلك النهارده.. هنضطر منعملش حاجة لمدة كام يوم كده.. عشان ينسوا شكلك شوية.. شايف صورة الملك سنفرو دي... هتنزل خان الخليلي... هتجيب واحد طبق الأصل زيها بالظبط... هتعرف..؟"

ردَّ سيد:

"أه طبعًا هعرف.. بس بقلك إيه.. تمن الحاجات دي هيتخصم من نصيبك يا دكترة.. عشان إنت صاحب الفكرة.."

"أه... وأنا كمان اللي أخدت على قفايا النهارده..."

لم يرد.. فأكملتُ:

"إتصرف وهات الحتة دي مهمة جدًّا..."

انتظرنا عدة أيام... طبعًا لا تتخيَّل أن هناك قاعدة بيانات ورد فيها اسم سيد وشكله وبصمة صوته كيلا يدخل المُتحف مرة أخرى... كنت أعلم أن نظارة شمس كفيلة بكل شيء... وحتى كنتُ أشكُّ أننا نحتاجها، ولكن الاحتياط واجب...كنا على الخطِّ معًا... كنتُ أقول له أن يحاول ألا يُلاحَظ قَدْرَ الإمكان.. طبعًا احتطنا أن يكون في زاوية ميتة لمعظم كاميرات المراقبة... وقام عم محمود بحدف أول طوبة...

"ها يا عم محمود... إيه الأخبار..؟"

"محدش لاحظ حاجة لسه.."

"طب إحدف تاني واحدة..."

"يا نهار إسود.."

"إيه يا عم محمود؟"

"البتاعة اتنيلت اتكسرت ومحدش واخد باله برضه..."

"إيه يا عم محمود.. إنت بتحدف في صحرا !!.."

"أصل الحتة دي ما عليهاش رجل أوي.. وأنا بحدف الطوب مش جامد.."

"هنتصرف إزاي؟... مفيش فرص تانية خلاص... لازم نعمل حاجة.."

"أنا هتصرف..."

قالها عم محمود...وسمعتُ عم محمود في التليفون... يقول:

"آآآآآآآآآآه... قلبي... يا ناس.."

هنا قال سيد :

"مالك يا عم محمود.."

فردَّ عم محمود :

"إخلص يا سيد... أنا هعملك قلق وإنت خلصنا بقى.."

بدأ عم محمود في تجميع الناس من حوله... اجتمع حوله الأمن بعدما اصطدم صدمة قوية بالدولاب الزجاجي بجانبه...

قلتُ لسيد :

"يا للا يا سيد... إخلص في الزحمة دي خد الحتة بسرعة وحط مكانها الحتة اللي شبهها اللي معاك.."

قال سيد في سرعةٍ:

"كله تمام... الحتت معايا."

هنا ظهرت في عقلي فكرة.. ليس أمامنا الكثير قبل اكتشاف ما حدث.. قلتُ لسيد:

"اجري علي عم محمود يا سيد وقول إنه أبوك واطلب إسعاف ضروري... خلي الحتة معاه هو عشان يخرج في الإسعاف.."

سمعتُ سيد يقول:

"أبويا... أبويا... يا جدعان نادولنا الإسعاف...الراجل عنده السكر... أكيد دي غيبوبة الملاريا... دايما تجيله من الكبد اللي عنده.. ما أنا قلت لك يابا تاخد دوا الإيدز..."

دائمًا يُصِرُّ سيد أن يذهبَ إلى آخر الطرق.. لا يملك الوسط في رد الفعل... ولكن يبدو أن ما فعله يُؤتي ثِمارَه..فواضح من الصوت أن هناك تفاعلًا معه، ويجري نقلُه إلى سيارة الإسعاف... قلتُ له:

"تمام يا سيد..؟ إديته الحاجة؟"

"أه إديته...كله تمام.."

"طب اخرج معاه.."

"طيب.."

في خلال دقائق فعلًا بدأتُ أسمعُ سرينة سيارة الإسعاف وعم محمود بداخلها يتكلم بصوت خفيض وبصعوبة لإتقانِ دَورِه في بادئ الأمر... قلتُ له أن يطمئن أنهم يبتعدون عن المُتحف.. ويبدأ في الشعور بالتحسن، سألته:

"سيد فين..؟"

أخبرَني بصوتٍ خفيضٍ أنه لم يركب معه...

"سيد... سيد.."

ناديتُ في التليفون..

"أيوة يا دكترة... "

"إنت فين..وإيه اللي خلاك عندك الله يهدك..؟"

"معلش بقى يا دكترة حصل تغيير في الخطط.."

"تغيير إيه بس؟!هتبوظ كل حاجة.."

"لأ معلش يا دكترة.. إنت وعم محمود وصلكم حقكم وزيادة... مع الحتة بتاعة الملك سنفور... كده أنا براءة منكم... أنا أخدت الحتة اللي جنبها... أظن كده محدش له عندي حاجة.. أنا هتصرف فيها بقى.. و مش عايز منكم حاجة.. كده انا مراعي العيش والملح.."

"سيد... إنت غبي لدرجة إنك تكون فاهم إن الأمن مش هيلاحظ إن فيه حتة ناقصة عشان إنت ما بدلتش الحتة التانية بحتة شبهها.. والكلام ده هيكون في خلال بالكتير ربع ساعة من دلوقتي... ده غير طبعًا... إن كان ممكن تتهبب تخرج بيها في العربية.."

توقَّف سيد عن الكلام لحظات... يبدو أنه يُعيد ترتيب المعلومات في عقله ويبدو فعلًا أنه من الغباء أنه لم يحسب هذه الحسابات..

"ما هو... أنا هخبيها في الحفرة بتاعة الحمام... أنا نسيت أقولك.. أنا غيرت الخطة أه.. بس رجعتها للخطة القديمة.. عشان الجديدة أي كلام.. بتاعة هواة بصراحة..."

هنا أغلقتُ الخطَّ مع سيد... فليذهب للجحيم.... وقت الجد.. أنا لا أعرفه وهو فقط مريض -لا أكثر ولا أقل- عندي كان يتردد إلى الوحدة..

عم محمود.. حدثتُه على الخط:

"عم محمود وصلتم بعيد عن المُتحف..؟"

ردَّ ويبدو أنه بدأ يقنعهم أنه بدأ يسترد عافيته في سيارة الإسعاف، وأنه يُحدِّثُ ابنه أو أيًّا كان في التليفون:

"احنا متحركناش من مكانا.. التحرير مقفول.. والكوبري واقف.."

"ماشي.. ربنا يستر.. لما تخلص الموضوع ده قوللي.. ميعادنا واحدة بالليل"

الأملُ المسحوق

سيد بعد ما مسك القطعة الثانية في إيده... سعيد بما فعل.. هو لم يدرِ أن في استطاعته التفكير ليحقق مكسبًا كهذا... منبهرًا بنفسه.. هو يفكر في أن يُري سماح القطعةَ أولًا قبل بيعها.. صحيح أنها غبية وستخبره أنه اشتراها من خان الخليلي.. ولكن لا يهم.. المهم المكسب.. ستصدق كل شيء هي وأمها عندما تجده مكتظًّا بالأموال.

دخلَ الحمَّام وخبَّأ القطعة الأثرية كما كانت الخطة قبل.. ذلك الطبيب الغبي.. لم يفكر في رشوة أحد عساكر الأمن الغلابة ليستخرجوا له هذه القطعة من الحمَّام... ولكنه فكَّر.. ولهذا هو جدير بالمكافأة.

يسمع خارج الحمام الجَلَبَة المتوقَّعة... سيأخذون وقتهم في التحقيق

وغيره من الأشياء، ولكن سيكون هو قد فازَ بغنيمته.

سينتظر خارج المبنى قليلًا ثم يخرج وبعدها يرى ماذا يفعل..

يجلس في الحديقة... يحاول التظاهُر بالثقة.. يرى الأجواء من حوله واضحًا عليها التوتُّر... وأفراد الأمن يتحركون يمينًا ويسارًا... ويجد أحدهم يبدو أنه صول أو شاويش...لا يفعل شيئًا ولا يهتمُّ بأن يفعل..أو يفهم.. يتحرك بجانبه... فيسأله:

"هو فيه إيه.. يا بلدينا..؟"

فيردُّ الآخر في هجوم غير مُبرَّرٍ على الإطلاق:

"ملكش دعوة يا أخ.. خليك في حالك ده شغل حكومة.."

هنا وقعَ سيد في مأزق اختلقه لا يدري أحدٌ لماذا.. هل يستكين فيعكس ذلك قلة ثقته بنفسه وربما يُثير الشكَّ... أم يحاول إصلاح الموقف كون ذلك ردَّ فعلٍ طبيعيًّا لأي فرد يتعرض لمثل هذا الهجوم.. دَعْكَ من أن سيد في الموقف الطبيعي سوف يمارس غباءه مع الصول بشكل طبيعي.

"إيه يا عم الحاج... ما تتكلم عدل.. إنت بتكلم ناس محترمة برده.."

قالها سيد... بغباء وبهجومٍ أيضًا ردًّا على جملة الصول..

"مادام محترم خليك في حالك... بدل ما تبقى مش محترم.. وساعتها هتزعل.."

ردَّ الصول بتهديدٍ هذه المرة.

"محدش يقدر يا عم إنت... ما تفوق يا بلدينا إنت بتكلم مين بدل ما تزعل إنت.."

هنا حرَّك سيد يده بقوة وكما نعلم عن سيد أنه لايوجد لديه ردود وسطية..فهجومه هو هجوم فعلي.. حتى أن يده ارتطمت بالصول.. صحيح أنه لم يقصد ذلك.. ولكن فات الأوان...

"إنت بتمد إيدك.. حلو أوي.. ده إنت هيطلع ميـ.... إنت شكلك يالا بتاخد حاجة.. وأدي الحشيش اللي أنا مطلعه من جيبك.. وحياة أمك ما أنت مروح.."

هنا انقلبت الأمورُ بصورةٍ جِديةَ...ولكن جاء أحدُ زملاء الصول يهرول... يخبره في قلق:

"يا صول حمدي... في حتة آثار ناقصة.. الدنيا مقلوبة جوه.."

هنا ردَّ الصول بشكل غير مبالٍ تمامًا بما يحدث:

"ياللا الله يحرقهم.. قال يعني هي اللي كانت هتعدل المايلة الحتة اللي ضاعت دي.."

هنا نظر الصول حمدي إلى سيد تلك النظرة الشرسة... نظرة شريرة...نظرة من وجد حلًّا لمشكلات الدنيا... وقال في ابتسامة غير مفهومة:

"عارف مين اللي سرقها الحتة دي يا صاحبي... الواد ده.. أنا شفته بيجري برة المُتحف.. واول ما جريت وراه ومسكته لقيته رمى حتة كده كان شكلها أثري...و معرفتش ألاقيها.. بس هو اللي كان واخدها.."

هنا جحظت عينا سيد... إن الصول يودُّ إلصاق التهمة به بأي طريقة.. مجرد طريقة لتحقيق انتقام شخصي... ولم ينتظر الصول الآخر كثيرًا حتى أمسكَ بتلابيب سيد... وهو يقول:

"أه يا بن الـ.. هي البلد ناقصاكم...أنا هاخده يا صول حمدي على الظابط جوه أما نشوف حكايته إيه ده.."

سيد مشدوهًا لا يقاوم... لا يعلم تفسير الموقف الذي وجد نفسه فيه..أهو

نوع من العدالة الشعرية.. أم نوع من الخطيئة؟ وكيف يُحَقِّق ذلك النظام توازنه الصحيح عن طريق تلك المنظومة المجرمة؟ فهم يمسكون بالسارق الحقيقي الآن ولكن لأسباب خاطئة... يفكر كثيرًا في ذلك كله.. ولكن لا يعرف كيف سينجو منها..أم أنه لن ينجو!

◈◈◈

يرقد عم محمود في سيارة الإسعاف.. السيارة لم تتحرك سوى مترين في نصف ساعة.... وذلك الطبيب يحدثه عبر السماعة البلوتوث..يحاول بشتى الطرق أن يخفيها ولكن سيلاحظها أحدهم قريبًا ويأخذها... ذلك الطبيب الغبي ينصحه بأن يهدأ حتى يصل لأقرب مستشفى.. بهذه الطريقة لن يصل.. وسيكتشفون السرقة.. وسيلاحظون شيئًا غريبًا في الكاميرات... ولا يعلم ساعتها أحد ماذا سوف يحدث.. يتحدث بكلام فارغ في تلك السماعة..طالما كَرِهَ هؤلاء المتعلمين..لا يشعرون بشيء.. طبيب يظنُّ أنه قد مَلَكَ العالم لمجرد دراسة سبع سنوات.. لماذا يُقدِّرُ الناس هذا الطفل.. ابن أمس.. لمجرد أنه حَفِظَ كتابًا ما كالأغبياء.. كيف يقارنونه بخبرة الدنيا التي علَّمت ذلك الرجل الذي شابَ شعرُه فيها...هنا ألقى عم محمود تلك السماعة من أذنه.. فتح باب سيارة الإسعاف.. وسط نداء الممرض ودهشته أطلق عم محمود ساقيه للريح.. وجد أن ما عطَّل الطريق حادث في آخره.. عجوز هو عم محمود.... لم يرحمه الضغط أو السكر فعلًا.. ولكن تلك الأمتار التي يجريها هي التي ستنقذه وتُعوِّضُه عن ذلك كله... لايرى سوى النور في آخر النفق.. لا يرى سوى المال بعد أن يبيع القطعة

يأخذ نصيبها وحده ويترك ذلك الطبيب المُغفَّل وذلك الغبي سيد.. سيغضبان قليلًا ولكن لن يجدا ما يفعلانه غير ذلك.. فليصيحا كما يُريدان.. فهو من عرَّض نفسه لكل المسئولية وكل التضحية... لا يرى سوى ابنته التي ستتزوج بسهولة.. لا يرى سوى الراحة في المستقبل... لا يرى تلك السيارة المسرعة الآتية بعدما تجاوز الحادث.. لم يشعر سوى بصدمة قوية في جانبه.. لم يعرف كيف يحفظ توازنه في الهواء لكنه حاولَ.. شعر بجسده كله يرتطم بالأرض مرة أخرى... يرى أمامه القطعة بعدما طارت في الهواء تكسَّرت على الأرض أمام عينيه... يشعر بالدماء الساخنة على جانب وجهه على الأرض... تُظلِمُ الدنيا شيئًا فشيئًا أمام عينيه... لا يدري... هل تستطيع سيارة الإسعاف أن تُنقذه الآن.... هل سيصحو مرةً أخرى بعد ذلك الإظلام؟ أسينجو... أم أنه لن ينجو؟

◈◈◈

.. لم أكن أتوقَّع أن ذلك الغبي المدعو سيد سينقلب علينا... ولكنه غَدَرَ بنا بغباء.. فعندما تُراعي حق الآخرين في غدرك فأنت غبي لا محالة.. فإما أن تغدر بهم وإما لا... عم محمود.. كنتُ أتحدَّثُ إليه ولكن آخر ما سمعته هو ممرض سيارة الإسعاف وهو يحاول منعه من الخروج من السيارة.. لم يسمع كلامي..غبي آخر...كان من الآمن له الوصول للمستشفى وهناك يدَّعي أنه تحسَّن... وانتهى الأمر..

الأمر أن هناك احتمالين..أن عم محمود هرب من السيارة ليغدر بي هو الآخر.. وهو الاحتمال الأكبر.. أو أن عم محمود هرب ليأتي لي... وبحسابات بسيطةٍ وبعد أربع ساعات انتظار بتلك القهوة القريبة من المُتحف... يبدو أن

احتمال أن عم محمود قد لاذ بالفرار هو الأقرب للصواب...

تقبلتُ ذلك الاحتمال.. ولكن ما لم أستطع تقبُّلَه هو.. هل هناك فرار لي أنا؟!.. حاولتُ بالطريق القويم.. والطريق المُجهِد.. وحتى طريق السرقة..ألي نجاةٌ من تلك الظروف.. أم أنني لن أنجو؟

◈◈◈

تمت

السِّياسة والصَّياد

لملمتُ أوراقي سريعًا.... الشمس حارقة وخصوصًا الساعة الثانية ظهرًا وأنت في القاهرة، وكل عوادم السيارات تجتمع في رئتيك تتسابق على قَتلِك قبل أن تصل إلى بيتك.. بالطبع هذا إن كنتَ في طريقك إلى بيتك.. أما إن كنتَ في الطريق إلى أي شيء آخر فأنت في أيديها حتى النهاية.. وهذا إن كنتَ في سيارة تطرد عادمها إلى الخارج ككل السيارات التي اخترعها الإنسان منذ بدء الخليقة.. أما إن كنتَ في سيارتي فأنت في وسط سحابة من العوادم.. وهذه المشكلات بالطبع هي التي تواجه أي شابٍّ في أوائل الثلاثينيات من عمره في أي مكانٍ في العالم..

أما إن كنتَ في القاهرة... فأنتَ تُواجِهُ كل الأشياء الأخرى كالزحام والسياسة والغلاء والبنزين والطعام والعمل غير المجزي... مرة أخرى تَغلُبُ عليَّ طبيعتي الصحفية التي لا أفرُّ منها إلا لأنام وغالبًا لا أستطيع.... ولكن لم ولن أيأس أبدًا... قريبًا إن شاء الله سيصبح اسم شريف أبو المجد اسمًا لامعًا، بل من أكثر الأسماء لمعانًا في عالم الصحافة..

ستكون جريدتي هي النبراس المنير... هذا هو اسمها إن شاء الله، ولكن الآن لابد أن ألحق بالمؤتمر الصحفي الذي أطوي الأرض طيًّا حتى ألحقه... هذا المؤتمر لمن يفهمون في الوسط السياسي هو الشوط الثاني من المباراة النهائية بين الأهلي والزمالك لأهل كرة القدم.. أو الجولة الأخيرة في الملاكمة بين تايسون و محمد علي كلاي... الأطراف الموجودة كلها من المحترفين.. كل حركة محسوبة

وكل كلمة لها وزن.. هذا غير أن الموقف كله على المَحكِّ.. حسين كارم الصياد...اسم من الأسماء التي ستعلق في العقول سواء شاءت تلك العقول أم أبت...

لا معنى أن تسأل: أولًا،أحسين الصياد من المعارضة أم من الحزب الحاكم أم مستقلٌّ؟ فهو وحده يستطيع أن يُرجِّح الكِفَّة التي فيها... أنا لستُ اسمًا كبيرًا في عالم الصحافة أو السياسة، ولكن هذا الرجل فعلًا يستحق ما هو فيه... هو إنسان... يفعل ولا يقول كثيرًا.. مشاريعه هي التي تساهم في نجاحه وليس الكلام كالباقين... مثقف.. قارئ.. يظهر ذلك في أول عشر دقائق في كلامه... لَبِق..

صِدْقًا هذا الرجل يجب أن يكون في منصب أكبر مما هو فيه.. دخلتُ القاعة... أه شعور التكييف...البرودة في الجو... شعور رائع! القاعة... جميلة نظيفة... هاتان الكلمتان تُقالان عن الحدائق العامة والمتنزهات.. أما عن هذه القاعة فهي مبهرة... بالطبع يجب أن تليق بالحضور.. الأباطرة من جميع الأطراف حاضرون، والجميع يحاول توجيه الضرب وإحراج حسين الصياد.. ولكنهم جميعًا يعلمون أن عليهم الحذر فليس سهلًا أن تُحرج حسين الصياد دون أن ينالك أذًى... فهو يعرف كيف يرد جيدًا... سوف يردُّ الصاع صاعين.. وإن لم يرَّده هو فسيرده الناس عنه..

فالكلمات في هذا المكان كالأرقام لها حسابات... والموقف لا يحتمل أي هزات، فحسين الصياد نجح في الانتخابات بعد وقائع حذرت البعض من سقوطه، وبشَّرت آخرين بسقوطه أولهم القضية التي حكم القضاء فيها على ابنه بالسجن المؤبد.. لقتله أحد أمناء الشرطة.. نعم القضية كما ذكرتُ وكما حققتُ

فيهـا بنفـسي... ابنـه ارتكـبَ جريمـة قتـلٍ.. وبعـدها نجـح حـسين الـصياد في الانتخابـات.... سِـحْرٌ حـدثَ... طبعًـا التحقيـق نـتجَ عنـه أشـياء مخيبـة لأمـالي كصحفيٍّ.. فقد كنتُ أختصِرُ الطُّرُق.

فكرتُ في الخطوات التي تلي النتائج أمامي حتى أسبِقَ بقية الصحف... فابن رجل مهم في قضية.. سيحاول الرجل باتصالاته ونفوذه أن يُخرجه من القضية... كما نرى في الأفلام، أو كما نسمع من الواقع، أو كما يقول المنطق هذا ما يجب أن يحدث، ولكني لم أجد شيئًا.... توقعتُ أكثر من هذا، وتوقعتُ أقذر من هذا، وبتُّ ليالي أحلمُ بالسَّبق وأحلمُ بالفساد الذي سأكشفه..

واسـمي الـذي سيزين التحقيـق... لكنـي رأيـتُ التحقيـق الجنـائي يـسير في طريقه المعتاد.. أحد الأصدقاء أبلغَ عن مكان الولـد... ولكـن برغم ذلك هـذا يـشهد لحسين الـصياد أيـضًا... بالـشَّرف لقـد تابعـتُ كـل شيء بنفـسي.. لم يحـاول الرجل أن يغير من مجرى العدالة شيئًا برغم دخوله الانتخابات وبرغم الموقف الخطر الذي كان فيه... ولكن الآن بعد نجاحه.. الخاسرون وبقية الصُّحف تود أن تنال شيئًا من الحدث، فموقفه الآن أضعفُ؛ فقد نجحَ وعليه أن يثبت نفسه... ولقد أطلق هذا المؤتمر بنفسه... كعادته لقد سبقَ تحركاتهم بخطوة، فلو تركهم لملؤوا صفحات جرائدهم وأبواق برامجهم التليفزيونية بأسئلة وأشياء كثيرة..

أما هنا فالأسئلة والردود تحت السيطرة ليظهر كل شيء... يهاجمهم قبل أن يهاجموه.. والغريب أن قليلين هم من يفهمون تلك اللعبة.. بل على العكس هم يظنون أنها فرصة لينالوا منه... جيدٌ أن هذا الرجل في صَفِّ الخير.. من الرائع أن

تكـون إنـسانًا وسياسـيًّا ذكيًّـا. انطفـأ النـور.. بعـض الموسـيقى.. فـيلم مـا عـلى البروجكتور... درامية قليلًا تلك الأشياء أن يعرض فيلمًا عن نفسه... ولكن... لا، هـذا لـيس فـيلمًا عنه... صـور لمـوظفين نـائمين على مكـاتبهم.. صـورة أخـرى لأناس تلتفُّ وتتصارع حول طابور العيش...

سيدة عجـوز تمـلأ قِـدرًا بالمـاء مـن صـنبور وسـط الأرض وخلفهـا أمـمٌ مـن النـاس ينتظـرون دورهـم بعـدها مـن ذلـك الـصنبور الـصغير... أه حادثـة القطـار الشهيرة.. الزحام والنيل والمصانع... باختصار فيلم عن مشكلاتنا التي أهلكتنا جميعًا، وفي النهاية انتهى الفيلم بجملة... ساعدني حتى نتغير للأفضل.. حسين الصياد.... هذا الرجل رائع، لديه الكثير والكثير ليُعلمنا إيَّاه.. كيف تبقى لديك مقاومة بعدما ترى وجهة النظر تلك؟ وإذا قاومتَ ذلك ففي أي الصفوف أنت؟ هـذا الرجـل يـستحق فعـلًا حُـبَّ النـاس...لم يُـضيِّع الكثـير مـن الوقـت... عـادت الأضواء وهو في وسط المنصة.... في منتصف الخمسينيات هو، يتَّصف بالطول.. لديه ذلك الشَّعرُ الأبيض على جانبي رأسه، ولا يملك سواه على رأسه... تعرف الهـدوء والرصـانة عنـدما تنظـر إلى وجهـه.. فعـلًا رجـل عمـلي يعـرف مـا يريـد... ملامحـه مـن النـوع الـصَّخري... دليـل عـلى بعـض الـزمن الـذي أمـضاه في الحيـاة العسكرية.. سكتَ الحضورُ.. وبدأ هو الكلام:

"أُرحبُ بدايـةً بـالجميع.. حاولـتُ كثيرًا التحضير لخُططي... ولكـن لم أجـد نقطة حقيقة أبدأ منها.. كل ما توصلت له أنه مهما تكن المشاريع المقترحة كبيرة وكثيرة.. فالمشكلات أكبر وأكثر... وضعتُ تلك الصور التي رأيتموها أمامي...

استخدمتُها كقائدي في حَلِّ المشكلات... ولكن أيضًا غلبتني..

فمثلًا حتى تحَّل مشكلة المياه في قريةٍ فأنتَ بصدد مشكلة الصرف في مكانٍ ما، وأيضًا عليك التوعيةَ لترشيد استهلاك المياه في مكان آخر ومعالجة تلوث المياه في كل الأماكن... وحتى تحلَّ مشكلة وسائل النقل فأنت تواجه هندسة الطُّرُق ومشروعات البناء وغلاء سعر الوقود.. باختصار نحن نحلُّ المشكلات حتى نتفرغ لحلِّ مشكلاتٍ أخرى.وهذا هو السبب الذي انتخبني الناس من أجله.. ولكن بعد تفكير طويل

وجدتُ أصلَ حلِّ تلك المشكلات... وهو أنه لا يجب أن أكون وحدي... وأن واجبي الأول هو توحُّدنا جميعًا لحل هذه المشكلات.. وهذا هو السبب الحقيقي لهذا المؤتمر، لقد دعوتُ ما رأيتُ أنها مجموعة من خيرة العقول وهي أنتم.. أفضل المثقفين وأفضل الصحفيين ونشطاء الأحزاب، واليوم أطلبُ منكم أن تُثبتوا ولاءكم لهذا البلد...

بعد أيام قلائل سوف تُدعون إلى مؤتمر آخر مدة يومين، وسيجري فيه مناقشة جادة لكل المشكلات الموجودة على الساحة، والجديد في هذا المؤتمر أن كل واحد منكم لن يدلي بدلوه فقط بأفكار للحلِّ، بل سيعمل أيضًا جاهدًا على حلِّها.. مثله مثلي تمامًا، يجب أن يعمل الكل بيده... هذا البلد يستحقُّ منَّا ذلك...."

هذا الرجل رائع.. سأظل أُكرِّرُها حتى أملَّ أو يملَّ هو أو تملَّ الناس مني... هنا قاطعه صوتٌ لا أدري من أين.. أه من آخر القاعة:

"مع احترامي الكامل لوجهة نظرك سيد حسين.... ولكن ماذا إن رفضتُ أو رفضَ غيري دعوتَكم الكريمة؟"

طُرِحَ السؤال الذي خاف أن يسأله كثيرون هنا، وأنا متيقنٌ من ذلك، فالكل مُتأهِّبٌ لكل اعتراض... سكت حسين الصياد ثانيتين قبل أن يقول:

"هناك نقطتان في كلامك أستاذ محمود... النقطة الأولى هي حرية وجهات النظر أن تختلف، ولكَن تختلفَ وجهةُ نظرك معي في طريقة تنفيذ الإصلاح وطريقة حلِّ المشكلة... ولكن لن نختلف مهما تكن طُرق تفكيرنا في أن المشكلة يجب أن تُحلَّ..

ردي على النقطة الأولى في كلامك هو أن اختلافك معي في مشكلة ما وطريقة حلها مكفول... لكَ مُطلَق الحرية في طريقة الحلِّ والتفكير... ولكن ليس لأحد أن يُنكِرأن هذا البلد يستحق أن نعمل ونحضر مؤتمرًا لحلِّ مشكلاته... ولأنه ليس لأحد مهما يكن منصبه أن يتنصَّلَ من الحضور - برغم طبعًا الحرية المُطلَقة في أن تحضر أو لا -.

فإن المؤتمر سوف يلاقي تغطية إعلاميةً شاملة فضائية ومحلية حتى تعمَّ الاستفادة... ولكن الجزء المهم في هذه التغطية... هو كشف بأسماء المدعوين وكشف آخر بأسماء الحاضرين... والكشف الأهمُّ هو كشف بأسماء الذين رفضوا الدعوة.... فللجمهور أن يعرف من أرادَ أن يساعدهم في حلِّ المشكلات الموجودة، وله أيضًا أن يعرف مَنْ رَفضَ... وعلى مَن رفضَ أن يُواجِهَ جمهوره ويتحمَّل تبعات ذلك...."

صوتٌ آخر يقول:

"فهمتُ سيد حسين... دعاية إعلامية أخرى مُوجَّهة لبعض الحاضرين ودعاية ضد البعض الآخر.. الأمور واضحة بهذا الشكل".

كعادته توقَّف ثانيتين قبل أن يردَّ، ولكنَّ الردَّ كان في عينيه كأنه يعرف مَن سيقول وماذا سيقول:

"طبعًا الشَّكُّ مقبول كنوع من اختلاف وجهات النظر... أنا لن أكون الحَكَمَ بداخل هذا المؤتمر، والتغطية الإعلامية محسوبة ومدروسة، ستكون مُوجَّهة للمشكلات وحلِّها، وستكون هناك لجنة مُكوَّنة من الجمهور... ستتكون من الجمهور نفسه، وأرى أن تتكوَّن من أكثر الناس تَضرُّرًا من المشكلات؛ لأنهم هم من سيحكمون على فعالية الحلول.. ومن جانبي قد رصدتُ فعلًا جائزةً مالية ضخمة لا مجال للحديث عنها هنا... ستكون هذه الجائزة لأفضل الحلول المُقدَّمة.."

سكتَ قليلًا بعدما حطَّم الأسئلة تحطيمًا..

"وضمانًا لأن يكون الحل ليس كلامًا على ورق... ستستمرُّ متابعة الحلول وتنفيذها في خُطة عامةٍ للإصلاح مدة سنة.. سنة كاملة من المتابعة الشعبية والإعلامية والسياسية معًا..."

هنا صمت قليلًا وتغيَّرت ملامحه من ملامح الصرامة والتهديد لملامح بها بعض المشاعر.. ملامح خفيفة منها، كما تعودتُ من ملامح وجهه التي لا تُظهِر الكثير:

"يا سادة نحن نتحدث عن إصلاحٍ مجتمعي شامل.. أرجوكم ساعدوني وساعدوا الناس وساعدوا أنفسكم قبل ذلك... لقد دعوتُ من رأيتهم شرفاء ومريدي الإصلاح في هذا البلد... أرجوكم لا تُخيِّبوا ظَنِّي وظنَّ الناس".

كان قد علا صوتُه قليلًا هنا، وظهر الانفعال على وجهه قليلًا وهو شيء نادرًا ما يحدثُ... أنزل عينيه ووجهه قليلًا طلبًا للهدوء، ظلَّ كذلك مدة خمس ثوانٍ، ثم رفع رأسه وقال كأنما يردُّ على أسئلة لم تُقَلْ وكلماتٍ في العيون:

"ولا داعي أرجوكم للتشكيك في نيتي ورؤيتي... كلكم يعلم ماذا فعلتُ لهذا البلاد.. كلكم يعلم بتلك المظاهرة في ذلك المصنع ويعلم ماذا فعلتُ.. ويعلم الله أني كدتُ أموت داخل هذا المصنع حين شاركتُ العمالَ في الإضراب... لا داعي يا أستاذ محمود ويا أستاذ عمر لأسئلتكما التي شككت في كلِّ حرفٍ قلتُه... لقد صلينا معًا جنبًا إلى جنبٍ... وعملتُ معكما في كثير من المشاريع.. لم تريا مني أي سوء.. أنا لم أتحدَّث إلا عن إصلاحٍ وحلٍّ للمشكلات، لم أقل شيئًا سياسيًّا أو معقدًا.. قِفا بجانبي حتى ولو من باب (خليك مع الكذاب).. شكرًا لكم جميعًا..."

هنا ترك الميكروفون وكاد يهمُّ بالخروج حين وَقَفَ الناس للتصفيق... فعلًا مواقفه معروفة للناس.. ذلك المصنع والإضراب الذي أحدثه العمال.. لقد نزل بنفسه ليشارك في الإضراب، وكاد يموت بداخله من اختناق بالدخان.. يبدو أنه كان يعاني مرضًا ما في صدره.... وبسببه فقط استجابت إدارة المصنع بالكامل لإرادة العمال..

ملأ التصفيق القاعة فعلًا.. حتى أنا أخذتُ أصفق لهذا الرجل.. فعلًا الكلام مُقنِع، هو لم يقل سوى: أريد أن أفعل شيئًا مفيدًا... فلنساعِدْه ولنرَ... هدأ التصفيق قليلًا، وكان في آخر المسرح بعدما حيًّا الجمهور.. هنا طُرِحَ سؤالٌ كالصاعقة.. لم أستطع فعلًا أن أحدد مصدره...

"وما نصيحتك للآباء في هذا البلد.... كأب ابنه في السجن؟"

هدأ التصفيق بصورة فجائية.... هدوءًا شديدًا... كان حسين الصياد على المنصة... بالجانب الأيمن منها تحديدًا يهمُّ بالخروج... توقَّف لحظة بعدما سمع السؤال... ولكنه همَّ بالخروج مرةً أخرى كأنما سيتجاهل هذا السؤال، ولكن في اللحظة نفسها عدَّل من وضعية جسمه ليعود إلى صدر المنصة ليردَّ عليه... عاد ببطء ورصانة... صمتَ مدة عشر ثوانٍ تقريبًا.... أخيرًا نظر إلى الجمهور:

"أقول لهم: افعلوا المستحيل، وقاتلوا، وضحوا بأنفسكم في سبيل أولادكم كما فعلتُ أنا في سبيل أولادي...

أقول لهم: حتى لو خذلكم أولادكم قفوا بجانبهم وساندوهم فقد أخطأتم كما أخطؤوا، وساعدوهم حتى في أشدِّ المحن كما أساعد ابني الآن...

أقول لهم: حاولوا أن تُقيموا العدل ولو في ذلك عقاب أبنائكم، وألا تستخدموا نفوذًا أو سلاحًا لتظلموا به أناسًا آخرين ولو في سبيل أبنائكم.. كما فعلتُ مع ابني ولم أحاول أن أكسرَ ميزان العدل الذي عِشتُ من أجله حتى وإن كان ابني يعاني في محنته..

أقول لهم: افعلوا ذلك وليكن بداخلكم اليقين أنه أفضل شيءٍ تفعلوه لأبنائكم.... ولا تخجلوا من أبنائكم أبدًا.. أبدًا.. فهُمْ أبناؤكم، فجهِّزوهم لحملِ مسؤولية هذا الوطن.... أو غادروه..."

فقط... وغادر القاعة... تقييمي لإجاباته أنها قاتلة للأسئلة... تشعر فعلًا بصوت تكسير السؤال والسائل معًا في إجابته.. أنا صحفي ومهنتي الكلمات أحسبها وأَزِنُها... وهذا الرجل لديه أدقُّ حاسوب وأرقى ميزانٍ للكلمات...

◈◈◈

الزمان: قبل الانتخابات بأسبوع... أي قبل المؤتمر الصحفي بأسبوعين.

المكان: فيلا أستاذ حسين الصياد.. بمكتبه تحديدًا وهو جالس إلى مكتبه يقرأ.

يَظنونَني أقرأُ للتسلية... أو أقرأ للثقافة... أغبياء....أن تقرأ هي الحياة... لا تستطيع أن تصل إلى أهدافك بلا قراءة.... معظم السياسيين يظنون أن قرأوا عن التاريخ والقادة السابقين هو لبُّ السياسة وهي قمة الثقافة السياسية.. فهم زمرة من المعاتيه... كيف تقرأ عن التاريخ السياسي بلا قراءة علم الاجتماع ودراسته؟! وكيف تقرأ عن الحروب بدون التطرُّق للاقتصاد؟! وكيف تدرس القيادة بلا علم نفس؟! وكيف لا تقرأ عن الجسم البشري وأنت تعيش بداخله! هذا هو ما جعلني أُقدِّسُ القراءة... وقت القراءة هو وقتي أنا.. من يحاول التدخل فيه فهو يسرق مني شيئًا ثمينًا، وأنا لن أسمحَ بذلك مهما حدث....

أحدهم يطرق الباب.. طرقات سريعة لا تُبشِّرُ بخير... يدخل إسماعيل.. سكرتيري الخاص.. يبدو عليه القلق.. لا هذا ليس قلقًا..إنه فزع..

"أخبار سيئة جدًّا... يا فندم.."

قاطعته قائلًا بحزم:

" في وقت القراءة... أكونُ وحدي... اخرج الآن.. وعد بعد ٤٠ دقيقة".

قال بالفزع نفسه:

"الأخبار لا تحتمل..."

رددتُ بالحزم نفسه:

"اخرج الآن..."

لم يَجدْ أمامه إلا أن يخرج برغم القلق الشديد في عينيه.

أكملتُ القراءة... وبعد أربعين دقيقة بالضبط.. عاد... وجهتُ إليه الكلام قائلًا:

"ألا تعرف أن وقت القراءة لي وحدي؟!"

قال:

"عندما تعرف الأخبار ستعذرني يا أستاذ حسين".

نظرتُ إليه ليكمل الحديث:

"محمود بيه ابن حضرتك... متهم الآن في قضية قتل..."

نظرتُ إليه بدهشةٍ ومفاجأة.. آخر خبر تتوقع سماعه... وحتى أنه الخبر الذي لا تتوقع سماعه.. ولكن بالطبع لم أندمْ على طرده مدة أربعين دقيقة... فتلك الدقائق لن تُقدِّم أو تُؤخِّر شيئًا.

"ماذا حدث؟"

ردَّ قائلًا:

"أطلق النار على أمين شرطة.. كان قد طلب منه إظهار رخصة القيادة... وكاد يهمُّ بتحرير مُخالَفة له.."

فنظرتُ إليه ليُكمِلَ التفاصيل... يجب أن يكون هناك المزيد، أين المشكلة إذن التي استدعت القتل؟ فردَّ بارتباكٍ:

"فقط... المشكلة المعتادة لابنك... وجُمل مِن نوع: ألا تعرف مَن أنا وابن مَن؟ وعِراك بينه وبين أمين الشرطة، ويبدو أنه حدث تطاولٌ بالأيدي.. انتهى بأن أخرجَ ابن سيادتك سلاحَه وأطلق عليه النار وهربَ..."

أنا لم أُصدِّق في بادئ الأمر أن هذا ما حدثَ، ولكن أصدق أن هذا التصرُّف المعتوه قد يأتي من ذلك المعتوه محمود...عِراك ومخالفة كلها لا تتعدى قيمتها المائة جنيه وتنقلب لجريمة قتل... ذلك الحيوان الغبي.... منذ صِغره وهو لا يأتي سوى بالمشكلات.... ولكن هناك ثغرات... الحديث لم يكتمل بعد:

"هل هناك أحد آخر رأى محمود غير أمين الشرطة.. وكيف تأكدوا أنه الفاعل؟ هل أوقفوا سيارته في كمين من تلك الكمائن؟"

ردَّ قائلًا:

"يقول المَحْضَر إنه لم يكن هناك سوى أمين الشرطة ذلك... والشهود أبلغوا عن رقم السيارة ومواصفاتها....."

"هذا الغبي.... لقد اختار أسوأ وقت ليُظهِر غباءه على الملأ....."

نظرتُ إلى إسماعيل:

"فلتتصل بالمحامي.. وليأتِ حالًا، وتيقن من موقف الصحافة... لا يجب أن يصل أي خبر لأي صحفي مهما يكن... هل تعرف كيف تفعل ذلك؟ فالموقف لا يحتمل غباء..."

قال:

"أمرك يا أفندم... سأتيقن من موضوع الصحافة.. وفعلًا قد اتصلتُ بالمحامي وهو في طريقِه إلى هنا..."

قالها وخرجَ...لا أستطيع أن أصِفَ مدى غضبي الآن.. الانتخابات بعد أُسبوع.. وأنا أعدُّ لها منذ شهور.. أفعلُ المستحيل.. وذلك المعتوه يُدمِّر كل شيء؛ لأنه لا يريد ان يُظهِر رخصته... فليظهرها وليأخذ تلك المخالفة الغبية.. وبمكالمة تليفون سوف تعود الأمور كما كانت.. أما الآن فالأمور أعقد كثيرًا من مكالمة تليفون.. فالصحافة تترصَّد للجميع.. والتليفزيون يريد تغطيةً لأحداث الانتخابات.. ويجب أن أتعامل أنا مع كل هذا حتى لا يؤثر ذلك في نتيجة الانتخابات.. فأنا إذا وقعتُ هذه المرة... سوف يظهر الكثير مما أودُّ ألا يظهر...

ولكن أنا أعرف كيف أتعامل مع الأزمات جيدًا.. لا شيء مستحيل.. فالقاعدة.. ألا قاعدة.

أتى الأستاذ مختار المحامي.. دخلَ المكتب.. أنا متمسك دائمًا بالأفضل في كل شيء... فإسماعيل السكرتير يعرف كيف يفعل ما أطلبه بدون أن يسبب لي صداعًا... ومختار يعرف كيف يطوع القانون لما أريدُ بلا مشكلات... ولهذا أنا متسمك به.

نظرتُ إليه قائلًا:

"مختار ماذا فعلت حتى الآن...؟"

"عرفتُ الأخبار سريعًا... ولكن الأمور كما وصلتك... لا شيء جديد جارٍ البحث عن محمود بعد هروبه..."

قلتُ له:

"لقد فكرتُ فيما حدث.. هل نستطيع أن نثبت أنه لم يكن هو الذي يقود ساعتها..؟"

"فكرتُ في ذلك أيضًا.. من الممكن أن نبلغ عن سرقة السيارة.. ولكن شهود العيان تعرفوا صورةَ محمود.. كما أن أمين الشرطة المُصاب في المستشفى الآن.. قد يفيق في أي لحظة ويتعرف إليه؟"

المشكلة أن هذا الحيوان حتى الآن.. لم يتصل ولا أعرف كيف أتصل به... الأمور تتعقد..

"لا بد أن تُحَلَّ تلك المشكلة يا مختار...بأي طريقة وبأي ثمن... الموقف لا يحتمل.. والانتخابات يفصل بيننا وبينها أسبوع.. تحدث مع عائلة أمين الشرطة.

..هَدِّدْهُم.. افعلْ ما شئتَ.. وكلِّم أصدقاءنا في الداخلية ليحلوا تلك المشكلة.. فأنا لا أدفع لهم إلا لمثل تلك المواقف..

ردَّ عليٌّ قائلًا:

"اتصلتُ بالجميع.. ولكنَّ أحدًا لم يُبشِّر بخير... الموضوع صعب،

وأصحاب المصالح الأخرى يريدون للأمور أن تتعقَّد أيضًا؟"

الآن بدأت الأمور تتضح شيئًا فشيئًا.. مِن مميزات تعقُّد الأمور أنها تُظهر العقبات أمامك.. فأنا أمامي الآن.. الأمين المُهدَّد بالموت في أي لحظة.. ومسار الأمور داخل النيابة.. الصحافة... يجب أن أتعامل مع هذا..

ويجب أن أعي أن هناك آخرين يهمهم عدم استقرار تلك الأمور، فكما أن لي حلفاء داخل الداخلية والصحافة فللآخرين حلفاء أيضًا...

نظرتُ إلى مختار قائلًا:

"حسنًا عليك أنت بالأمور داخل النيابة، ولتُخبرني بالأخبار أولًا بأول... لا أعرف أين ذهب محمود حتى الآن... لم يتصل ولا أعرف له طريقًا... ابحث مع أصدقائنا كيف لنا أن نزيحه من الطريق ونتهم أي شخصٍ آخر حتى ولو دفعنا مقابِلًا لذلك.. لا أريد أي شيء يهزُّ موقفي في الانتخابات.. هيا اذهب".

هناك مَنْ يفعلون الخطأ ويبررونه لأنفسهم... أنا لا أرى مبررًا لذلك...أنا أفعل الخطأ وأدعوه باسمه، فأنا أسرق وأدعو ذلك سرقة.. وأرشو وأدعو ذلك رشوة.. أنا لي مصالح في ذلك الخطأ وأفعله... والآن يجب أن يختفي اسم ابني حتى أنجحَ في الانتخابات... هذا بيت القصيد لا أكثر ولا أقل.

هنا تلقيتُ المكالمة... من محمود.. أخيرًا.رددتُ على تليفوني المحمول:

"أين أنت أيها الغبي؟ ماذا حدث بالضبط؟"

جاءني ردّه مذعورًا مرتبكًا:

"أقسم أن ذلك الشرطي هو الذي بدأ الشجار.. لقد تطاولَ عليَّ وسبَّني... أقسم أنه سبني.. وضربني.."

بالطبع لا فائدة من الكلام، فمهما يحدث لن يكون مبررًا للقتل... وأنا أعرف أن هذا الحيوان هو المخطئ... وأنه اندفاعي لأقصى درجة..

"وماذا تريدني أن أفعلَ الآن حيال تلك المصائب التي تنهال علينا بسببك"

"لا تتركني في هذا الموقف أرجوك.. من الممكن أن أهرب خارج البلاد الآن.. فقط أريد المال ولا شيء آخر.. أنا الآن عند صديقي هيثم، ابعث لي به.. وسوف تُحلُّ المشكلة".

سوف تُحلُّ المشكلة لديك أيها الغبي... أما لديَّ فأنا قد أسقطُ في الانتخابات بسببك... أغلقتُ الخط في وجهه...

دخل عليَّ إسماعيل السكرتير:

"أهلُ أمين الشرطة يرفضون أي نقاش... ولا سبيل للكلام معهم الآن... أما عن الجرائد.. لم تصل إليهم أي أخبار بعد.. ولكن الأمور غير مستقرة بالمرة.."



هنا واتتني فكرةٌ:

"إسماعيل.. كيف نستطيع أن نستخرج شهادة جُنونٍ لمحمود؟ الأمور ستتعدَّل كثيرًا إذا استطعنا وَصْمَه بالجنون والاندفاعية.."

ردَّ إسماعيل قائلًا:

"**فعلاً دعني أسأل بعض أصدقائي من الأطباء في ذلك...**"

هنا دخل مختار سريعًا والقلق يجعله يتصبَّب عرقًا..

"**أخبار سيئة... لقد ماتَ الشرطيُّ...**"

لا... هنا الأمور تتعقد أكثر وأسرع من اللازم... لا أستطيع ملاحقة كل هذا... ومن الخطأ أن أظَلَّ في هذا الموقف الدفاعي أكثر من ذلك.. لن تصمد أي دفاعات أمام عيون الصحفيين المتربصة سواء أكانوا شرفاء أم حلفاء أعدائي... كما أن جريمة القتل أصبحت كاملة الآن، ولن يساعدني أحدٌ فيها الآن.... أي

إجـراء هـو فقـط لتجنيـب ابنـي الـسجن، ولكـن لا شيء سـيحول دون المـساس بمنصبي وشعبيتي في الانتخابات....

يجب أن يكون هناك هجومٌ الآن... فإذا حاولتُ طوال الوقت إبعاد العيون عني.. فسيفشل ذلك، بل على العكس سيجذب الأنظار نحوي..... دعني أُعطِهم ما يريدون ولكن بطريقتي...

فتحتُ الجريدة.... ما الخبر الذي يتصدر الصفحة الأولى الآن؟ أه إنه الإضراب في ذلك المصنع... الأمر بسيط.. سأشاركُ بنفسي في ذلك الإضراب..

ناديتُ إسماعيل:

"إسماعيل... اتصل بالقنوات الفضائية وبعض الصحفيين وأخبرهم بأني سأنزل لأشارك في الإضراب القائم بمصنع البلاستيك بنفسي..."

"وهل ترى أن هذا هو الوقت مناسبٌ؟"

"لا وقت أنسب من هذا.. افعل ما قلتُ لك.."

المكان: بهو فيلا حسين الصياد..

الزمان: بعد مشاركته في الإضراب بيوم واحد.. أي قبل الانتخابات بأربعة أيام.

الأمور كما هي، لا تطور في الأحداث... حاولتُ كثيرًا... فاتَ حتى الآن ثلاثة أيام ولم أنم سوى ست ساعات... صحيح أن نزولي للإضراب في ذلك

المصنع جذب الأنظار إلى اتجاه آخر وأبعدَ العيون عن موضوع الشرطي يومين، ولكن لا شيء أستطيع أن أفعله أكثر من هذا.. ولقد تظاهرتُ أنني أُصبتُ بأزمة صدرية في الإضراب.. مما جذب تعاطف الناس أكثر معي... ولكن كل ذلك مُهدَّد بالانهيار.. لابد أن هناك حلًّا ما.. كل شيء له حلٌّ، ولكن علينا أن نبحث عنه في المكان الصحيح.... لقد تعلمتُ أنه كلما كَبُرت المعضلة كان حلُّها بسيطًا... ولكن هذه المصيبة تبدو من الداخل كبيرة جدًّا متعددة النواحي.. لا أدري كيف أحلُّها..

إنها تحتاج إلى نظرة أبعد نظرة تجمع كل الصور بجانب بعضها البعض، وتأتي بالمشكلة المشتركة بينها وتحلها في حلٍّ واحد بسيط..... المشكلة أني الوحيد الذي أعلم أنه مهما تحاول أن تُخبِّئ شيئًا فسيظهر في النهاية.... ولذلك لا أحاول طوال الوقت أن أفـ.... !

بدأ يظهر الحلُّ في رأسي.... بدأت الآن الصورة تتكوَّن... كل القطع بجانب بعضها البعض فعلًا... الانتخابات.. شعبيتي وسط الناس.. الصحافة.... الشرطة والقانون... هناك سبيل لإرضائهم جميعًا...

ماذا لو بلَّغتُ عن محمود؟! نعم، ماذا لوأبلغتُ الشرطة بمكانه؟ وماذا سيحدث إذًا؟ لا شيء.. أولًا سيسجن محمود وسأكفُّ عن ملاحقة مصائبه، بل من الممكن أن أحميه داخل السجن.... سأتوقف عن قلقي لتغطية تلك المصيبة التي أحدَثَها وسأسلمه إلى العدالة...

ثانيًا سأتوقف عن إبعاد الصحافة والصحفيين... وسأتفرغ لمشكلتي الكبرى... الانتخابات... وهنا تأتي اللعبة الحقيقة أن أستغلَّ أصدقاءنا في الصحافة والتليفزيون بأن تظهر الأمور كأني أريد أن أكون قدوةً للناس لأني لم أستغل نفوذي لأكسر القانون.. من هنا ستزيد شعبيتي أكثر ولن تقل... وستكون هذه هي الضربة التي أوجهها للمنافسين قبل الانتخابات بأيام.. أقوى ضربة انتخابية ممكن أن تتخيلها..

ظهرتْ الفكرةُ في عقلي.. فمددتُ يدي لأمسك سماعةَ التليفون..

"ألو.. النجدة..عندي معلومات بخصوص القاتل الهارب محمود حسين الصياد...."

المكرونة بسهولة

"بص يابني إنت... ركز معايا وحياة أبوك.. هتضيع البت منك".

فاتجهت بتركيزي إليه... صحيح أنه معتوه ولكن هو يعرف الكثير من الفتيات.. لأن لديه الخبرة الكافية التي أُريدُها، ولكن للمرة الألف أقولُها له:

"أنا مش قادر أفهم.. ليه ما اقولش اللي انا عايزه... كده... زي ما أنا عايزه؟"

قال لي في تنهيدةٍ.. فقد بدأ صبره ينفد:

"عشان الموضوع مش بسيط كده.. يابنى البنات دول كائن مش مفهوم... إذا كنت أنا... ياللي اسمي أنا... ما فهمتهمش"

فقلتُ له بتلقائية أحسَدُ عليها:

"طب ما جايز إنت اللي غبي يا محسن.."

فتفاجأ محسن بالرد... ففي هذا الوضع.. أنا الغبي وهو مَن يشرح لي.. فنحن ذلك الثنائي الكلاسيكي الذي يأتي في السينما.. الطالب الذكي النوع العلمي من الذكاء، ولكني فاشل اجتماعيًّا.. وعلى عكسي محسن.. هو ذكي اجتماعيًّا.. ولكنه فاشل في الدراسة.. يبدو أن السينما تذكر جزءًا من الواقع في النهاية.

ابتلع محسن تلك الإهانة.. لأنها مني شخصيًا، ولكنه ردَّ:

"آخر حاجة ممكن تقولها عليَّ.. هي إني مش فاهم في موضوع البنات.."

فنظرتُ إليه في حيرة..وقلتُ:

"هو إنت مش لسه قايل إنك لسه ما فهمتهمش.. أُمَّال فاهمهم إزاي؟.. ده إنت غبي فعلًا".

بدا أنه يأخذ وقتًا ليفهم الجملة.. ولكنه تدارك الأمر وقال:

"بقولك إيه... افهم مني عشان نخلص.. بص يا عمر.. انت مش بتحب البت مي دي.. يبقى لازم تقولها اللي هقولهولك ده..عشان من الآخر تتنيل بقى وتحبك هي كمان.. بدل ما تفضل في الآخر بتخرج وبتمشي معايا.. أنا مش طالبة معايا غباوتك.."

بدأتُ أستعيدُ تركيزي وانتباهي وخصوصًا بعد أن تخيلتُ أني أقضي بقية سنوات عمري مع هذا الكمِّ من الغباء المدعو محسن.. هو شابٌّ أنيق يجذب الفتيات فعلًا.. ولكني لا أحتمل الجلوس معه ومناقشته في أي موضوع كان سوى كرة القدم والفتيات.

وأحيانًا عضلة الباي والتراي، ولكنه صديقي.

يقول محسن.. بعد أن أمسك ورقةً وقلمًا:

"دلوقتي إنت لازم الأول تلمح ليها.. يعني الأول بأفعالك وتفهمها إنك مهتم.. تكلمها وتعملها اللي هي عايزاه... والحركات إياها دي..."

فرددتُ عليه:

"ما أنا لو أعرف الحركات إياها دي يا محسن ما كنتش استحملتك ربع ساعة

وربنا... المهم يعني أفهمها إني معجب بيها وإني أكن ليها شعور مختلف عن غيرها.."

فقال وقد أمسك من كلامي خيطًا يبدو أني لم أعرفه:

"أيواا... تكن ليها.. يعني ماتقلهاش على طول.. هتفضل كانن شوية كده في مطرحك.... وبعد كده تطلع بالمفاجأة.. وهي لما تلاقيك كانن وهادي كده.. مش هتفهمك.. وهم يحبوا الحاجات اللي فيها غموض.."

فقلتُ في استسلامٍ:

"طبعًا هي مش هتفهم.. إذا كنت أنا ما فهمتش.. بس كمل.."

ردَّ في انتصار غير مُبرَّرٍ:

"دلوقتي قبل ما نطلع بالمفاجأة... هنهدا شوية.. يومين تلاتة كده.. ولما حتى نطلع بيها هنطلع بيها بطريقة رومانسية.. عشان البنات بيحبوا الرومانسية.. وفي دي بقى تسأل أخوك محسن".

فقلتُ لمحسن وأنا أنظرُإليه وأتمنَّى أن أجد في عينيه إجابةً بالإيجاب:

"طيب مش ممكن بعد ما أكن والكلام ده.. أقولها بحبك..وخلاص بدل شغل الأفلام الهندي ده يا محسن؟"

ردَّ محسن:

"ولما تتكسف وتلزقك بالقلم على خلقتك.. هتعمل إيه يا فالح؟

ولو قالتلك بقى لأ إحنا إخوات يا عمر.. مش هتقعد تعيطلي و تو أو ألي.. مش ده بقى شغل الأفلام يا عم عمر.. على فكرة إنت الأفلام الرومانسية بوظت دماغك.. الله يخرب بيت السيما واللي بتعمله في دماغكم.. بتبعدكم عن الواقع".

بالرغم من أن كلمة "الواقع" و"محسن" متضادان فإن فكرة رفضها كفيلة بأن تجعلني أسمعه طوال اليوم.. لعل هناك حلًّا ما،

فاستطرد يقول:

" اسمع بقى هتعمل إيه... وإنت قاعد معاها في حديقة.. أو ماشين في الشارع.. طبعا هتتكلموا في أي تفاهة من اللي بتقولها.. تقولها... مي أنا عايز أقلك حاجة مهمة.. شايفة السحابة اللي فوق دي.. هتسألك أه مالها.. قلها السحابة دي على شكل قلب... وجواها اسم مي.. هتقلك بس السحابة دي شكلها مش قلب خالص.. هتقلها يمكن أنا شايفها كده عشان أنا قلبي كده وجواه.. اسمك... وتبصلها في عينيها وتشوف.. لو بصتلك ودمعت يبقى قشطة يا معلم.. لو ما بصتش يبقى فكك منها".

"أه يا بن العبيطة..." قلتها في سري.. ولكن قلت له بصوتي:

"إنت مش شايف يا محسن إن موضوع السحاب ده صعب... وبعدين احنا في الصيف.. ده غير أنا خايف السحابة اللي أنا هشاور عليها.. تطلع فعلًا على شكل قلب وجواه اسم مي.. الخطة بتاعتك مش هتكمل.. أرجوك قولي على خطة تانية.. أرجوك".

تفاجأ وكأنه لم يفكر من قبل في أن تكون السحابة فعلًا على شكل قلب، ويبدو أيضًا أنه اقتنع بذلك؛ لأن ذلك سيكون عقبةً في طريق الخطة التي رَسَمَها.

"طيب.. بص يا عمر أنا هقولك على الخطة التانية.. بس الخطة التانية دي لازم تكون في مطعم.. بص يا سيدي إنت تقعد وتطلب مكرونة من غير صلصة.... من غير صلصة".

فقلت:

"من غير صلصة ليه يعني..؟"

"هي الخطة كده.. يعني هو خطة نابليون في الشطرنج.. حد سأل قبل كده اسمها خطة نابليون ليه..؟"

"ما هو عشان نابليون اللي عملها... "

"عمل إيه...؟"

" عمل الصلصة... اخلص يا محسن عشان أنا هقع منك.. قول أي حاجة.. أنا حاسس إن البت هتتجوز وتجيب عيال وأنا قاعد عمال بسمع في خططك".

"وتقوم ماسك المكرونة وطبعًا شرط تكون إسباجيتي.. وتمسك عود واحد منها.. وتقوم عامله على شكل قلب في الطبق...وتقوم جايب الكاتشب.. طبعًا وفي الحتة دي الإجابة عن سؤالك إن ليه لازم تبقى المكرونة من غير صلصة.. يا غبي... وتقوم جوة القلب راسم سهم.. وتكتب اسمك على طرف

السهم.. واسمها على الطرف التاني.. وهي لازم تكون شايفاك طبعًا... لو عنيها دمعت يبقى قشطة يا معلم.. لو لأ يبقى فكك منها..."

نظرتُ إليه كأنني أنظرُ في فراغٍ:

"شكرًا ليك يا محسن.."

" بكرة تطمني.. هتصل بيك".

المشكلة أصلًا إنني أعلمُ أنه فعلًا يريد مساعدتي.. وأنه مهتم ليعرف نتيجة المقابلة معها غدًا.. ولكنه أخبرني بخُطتين هما أشبه بأن أحفر نفقًا بالملعقة من داخل السجن لأهرب.. والباب مفتوح بدون حراس.. ولكن نتائجه في هذا الشأن مع الإناث تضاهي نتائجي بمراحل.. يبدو فعلًا أنني لا أفهمُ ذلك الكائن المدعو فتاة... ولكن لا وسيلة لي للتجربة.. فلن تضيع مي مني.. يجب أن أُطيعَ الخبراء في هذا الشأن ولو مرةً واحدة.

◈◈◈

في اليوم التالي ونحن في الطريق.. هو اليوم الذي طلبتُ من مي قبول دعوتي على الغداء.. لا أعرفُ، هل رأت أنه من الغريب أن أطلب منها طلبًا كهذا.. أم أنها رأته عاديًّا؟ لقد أخبرتها أنني أُريدُ مناقشتها في موضوع مهمٍّ.. يبدو انها اعتبرتني مجنونًا، ولولا أنها تعرفني منذ زمن وتعرف أنه لا خطر مني لا أظن أنها كانت ستقبل ذلك ولكنها قَبِلَت.. أراها جميلةً، وأعرف أنها ليست أجمل فتاةٍ..

أراها رقيقةً وحنونًا، وأعرف أنها ليست أرقَّ فتاةٍ أو أحنَّها في الكون.. ولكني أحببتُها فقط.. لا تفاصيل أكثر من ذلك أو أقل.

نمشي بخُطي حثيثة للوصول إلى المطعم... بعد العمل.. أحاول أن أُسرع.. أعرف أن وقتها محدود معي لن يتجاوز ال٤٥ دقيقة، فلابد أن أُسرِعَ لدرجة أني سبقتها..

"لو سمحت.. لو سمحت".

قالتها بسخريةٍ واضحة، فرددتُ بملامح جادة بعض الشيء:

"نعم.. في حاجة.."

"ما تعرفش مطعم قريب من هنا؟"

رددتُ بدون فهمٍ:

"ما أنتِ ماشية معايا أهو...أنا هوديكي".

فقالت وقد علمت أني مازلتُ لم أفهمْ:

"أصل في واحد كان ماشي معايا.. بس سبقني وجري".

ففهمتُ أني أسرعتُ أكثر من اللازم.. فابتسمتُ وأدركتُ ذلك

وبدأتُ أبطئ من خطواتي لتلحق بي.. في الطريق نظرتُ للسماء فوجدتُ سحابة.. هل هذا الوقت المناسب لخطة السحاب..

"اللهم اخزيك يا شيطان.."

قلتُها في سري لا إراديًّا لتجنب خطة السحاب، ولكنها سمعتني أقولُ شيئًا فقالت:

"إنت بتقول حاجة؟"

"لأ.. الشيطان ساعات بس بيوسوس للواحد بحاجات بس الحمد لله... الإنسان مادام إيمانه قوي مش بيهمه".

نظرتْ بدهشةٍ.. ولكنها لم تهتم كثيرًا.

وصلنا إلى المطعم.. وجلسنا في أقرب موضع من الباب.. أعرف أنها ليست تلك الفتاة الرومانسية التي تجدها في الأفلام...هي فتاة واقعية تعيش على الأرض..عملية..أحبُّ ذلك فيها.. ولكني مُدرِكٌ أنها فتاة.. لا أدري إن كانت ستستجيب لتلقائيتي أم لخطط محسن.. ولكني لن أُخاطر.. سأنفذ خطة محسن.. هو أفضل مني في ذلك المجال.. بالطبع طلبت المكرونة.. بدون صلصة والذي كان طلبًا غريبًا من نوعه.. ولكنني عللتُ ذلك بالحساسية.. التي تصلح لتجنب أي نوع من الطعام بطريقة مهذبة.

"إنت إزيك كده...؟"

قلتُها وأنا أتحدثُ في أي شيء حتى يأتي الطعام.. فردتْ:

"خير يا عمر.. إيه الموضوع المهم؟"

"هاقولك بس في المكرونة.."

"نعم..!"

"قصدي لما تيجي المكرونة وأكل وكده... عشان بس أركز".

"طيب أنا بس مش هقدر أقعد كتير.. "

"مفهوم.. عشان إنتِ عندك شغل.. "

"لأ..عشان مينفعش.. أنا قبلت أجي أصلًا عشان إنت قلتلي الموضوع مهم وكده.. إنما أنا اصلاً ماكانش ينفع أجي.."

يجب بعض الإحساس بالذنب.. فعلًا كان ينقصنا لإضافة جو من التوتر.. وافقتها.. وأنا أنظر للنادل.. أين المكرونة.. أين المكرونة.. سوف تضيع الفتاة مني بسبب المكرونة.

"هو إنت مطلبتيش مكرونة ليه...؟"

"أنا بعمل دايت..."

كل فتيات مصر في رجيم دائم منذ أن يولدنَ حتى الممات.. ومن أهمِّ صفات هذا الرجيم أنه فاشل أو أنهنَّ لا يَحتَجْنَه أصلًا ولكنني.. أحبُّها.

أخيرًا جاءت المكرونة.. وكانت قد طلبتْ شيئًا ما يُشبه الخضار المسلوق.. شرعتُ في الأكل، وبدأت هي الأخرى تأكل.. الآن أدركتُ لماذا أقدمَ الرجلُ الذي اخترع خطة المكرونة على اختراعها... لأن طعمها مقزز بدون صلصة.. فقرر أن يستخدمها في شيء مفيد... وساعتها فوجئتُ.. لا يوجد كاتشب..

لايوجد كاتشب.. فأشرتُ إلى النادل على الفور:

"لو سمحت.. كاتشب بسرعة.. ليه العطلة دي بس؟"

فقالت:

"كاتشب!.. ليه؟"

"ما هو لازم يجيب كاتشب..عشان...عشان الكاتشب مهم في الأكل"

أظن أنها أيقنت أنها تتعامل مع معتوه.. فلم يعد هناك وقت، يجب أن يتم تنفيذ الخطة، أخذتُ عودًا من المكرونة.. بدأتُ في محاولة تشكيله وطيِّه بالشوكة.. الموضوعُ صعب.. أظن أنه يحتاج مهارة لاعب جمباز وفنان تشكيلي معًا... هنا لاحظتُ أنها لا تنظر إلى المكرونة.

"لو سمحتِ بصي في المكرونة فيها حاجة مهمة.. قصدي يعني بصيلي وإنت بتاكلي.. قصدي...أنا بحبك.."

توقفت عن المضغ.. وتوقفت عن فعل كل شيء.. وتوقف الكادر بالكامل لحظات.. وقالت:

" نعم..!"

فقلتُ وكأنني تورطتُ وحدثَ ما حدثَ:

"أهو اللي حصل بقى..."

"طيب ما تقول كده... تعالى اتقدم لي في البيت.. "

"نعم.. يعني إيه.. إنت موافقة؟ طب والمكرونة؟"

"مكرونة إيه.... أنا موافقة.. وهقولك على ميعاد تيجي تتقدملي".

"الله يخرب بيتك يامحسن.."

"نعم..!"

"لأ مفيش.. المهم إنك وافقتي".

تمت

مَخدوعٌ بالكامل

مقدمة

طارق شابٌّ نشيط، مجتهد، طيب، يستذكر محاضراته أولًا بأول... كل هذا جميل، لكن ليس كل ما نتمناه ندركه فهذه الصفات مقتصرة على الشخصيات الموجودة بقصص الأطفال..

فطارق الآن شابٌّ جامعي له من الصفات والمقومات ما يؤهله لتكون معظم صداقاته من الفتيات... وهذه المؤهلات وُجِدَت في ذلك الشخص الذي يؤثر استخدامها بل يبالغ في استخدامها، فله بعض الذكاء الذي لا يجد مجالًا للابتكار والاختراع إلا في مجال التعرف وتوطيد العلاقات مع الفتيات، ولا مانع من بعض المظهر الجذاب أو بعض الملبس الأنيق... لا أظن أن طارق خرج عن الإطار الطبيعي للتصرف كونه شابًّا، ولكنه بالَغَ قليلًا فيه.

فبعد المرحلة الثانوية والتي يعبر عنها طارق أنها مرحلة رجال من رجال -مع الاعتذار للكاتب أحمد خالد توفيق- أو مرحلة رجال في رجال وبعد ٣ سنوات من الخشونة تفتحت الأبواب على مصراعيها.. والأمهر له الأكثر.

الأمهر... وبلا فخر يعتبر طارق نفسه الأمهر في ذلك المجال، بل الأكثر خبرة، بل الأكثر من ذلك.. إنه يقول دائمًا: "كثيرون تحيروا في فهم المرأة....أغبياء"، يظهر في ذلك القول بعض ثقافة.. مع الأسف هذا صحيح فهو يملك بعضها، وكان ذلك للتعرف إلى بعضهن لا أكثر..

قد تظهر هذه الشخصية للناظر من بعيد شخصية سطحية بلا طعم أو لون ولكن ذلك ينافي الواقع، فطارق شعبيته بين كل هذه الشخصيات داخل الكلية تنفي ذلك. فهو يملك تلك الشخصية الاجتماعية التي يحبها الجميع، بل يتَّسمُ ببعض العقل في تصرفه، اختلاف الشخصيات وعددها التي يتعامل معها طارق يشهد بذكائه، ولكن يشهد أيضًا بخطورته وأنه وضع ذكاءه في مجاله الخطأ.

هو ذكي فعلًا.. وخطير فعلًا.. ليس كأبطال الأفلام، ولكنه كأبطال الواقع.

مشاهد من الأنا

أبدأُ يومي بالاستيقاظ.... ظننت ذلك واضحًا، بالطبع أنا لا أصحو باكرًا فأنا لستُ من هواة المحاضرات، تكفيني مراجعات آخر العام دائمًا، وأصدقائي داخل اللجنة هم أفضل حسناتي في هذا الكون..

وجودي في الكلية مرتبط دومًا بوجود أصدقائي داخل الكلية أو ببساطة... بعد انتهاء المحاضرة، ولا أدَّعي بذلك أن كل من أعرفهم يهتمون بالمحاضرات أو ما شابَه، ولكن دعني أقُل إن لكل يوم ظروفه الخاصة، فاليوم سأقابلهم بعد انتهاء المحاضرة، وسأتكلم معهم قرابة الساعة، وأظنُّ أن لا وقت اليوم للخروج معهم، فغدًا يوجد امتحان ما.

(لماذا أستخدم الضمير هم دائمًا.... فهو غير واقعي؟!! اعذروني على ذلك واستبدلوا به دائمًا هُنَّ).

لوموني قدر ما شئتم، أنا مُهتمٌّ بالتعرف إلى الفتيات دائمًا، وأملك ما يجعلني قادرًا على ذلك سواء مظهري أو جوهري (جوهري... طبعًا فثقافتي تؤهلني لأن تكون لي كلمات مثل جوهري)، وهذا هو السِّرُّ دائمًا أني أُلاقي الإعجاب الذي أستحقه.. ولكن ليس هذا كل شيء، فالكثيرون يملكون بعض ما أملك أيضًا، ولكن السِّرَّ عندي أنني أعرف ما تريده الفتاة وأفهمها تمام الفهم.

كثيرون احتاروا في فهم المرأة.... أغبياء، إنني أعرفُ الفتاة من عينيها.. أعلمُ ماذا تريد وكيف تريده، أعلم فيمَ تفكر من طريقة مشيتها آتية كانت أو راحلة،

وكيف تكون مهتمة بنظرة حقيقية، وكيف تمثل أنها مهتمة، بل الأدهى أنني أعرف كيف أتعامل مع كل هؤلاء... ببساطة....أنا معجزة.

سيأخذني الكلام ولن أجهز في الوقت المناسب.... لن أنسى بعض التصفيف لشعري، أعرف أن هناك قرابة ال ١٥ دقيقة لملابسي... بالطبع، فتناسق الألوان والشكل شيء لاغنى عنه أبدًا، لن أنسى الحذاء ولونه.... ماذا؟ العطر؟ لقد وضعتُه طبعًا.. الآن أنا في الطريق إلى الكلية.

إليكم الخطة العامة.. هناك المعارف وهم كُثر وهم من الفتيات والفتيان أيضًا والأولون أكثر بالطبع، وهناك القريبون مني وهؤلاء ينقسمون قسمين فهناك (شلتي).. وهناك صديقاتي (الأنتيم) (أحبُّ هذه الكلمة، أعترفُ بهذا).

والقسم الثاني يتغير كل فترة، فينقلب إلى معارف، وتأتي أخريات مكانه.. كان هذا هو الموجز وإليكم الأخبار بالتفصيل.. بيني وبينكم آخر قسم من صداقاتي هو ما أحبه بشدة، فهو ما أفعل من أجله كل ذلك.. دعكم من مثاليات "أنا لا أطيق الفتيات"، "معرفة الرجال كنوز"، "أنا لا أتحدث إلى الفتيات"، كلها جُمل تُعبِّرعن عدم القُدرة على التعرُّف إلى الفتيات، ولكن متنكرة في زيٍّ خشن بعض الشيء، أنا لا أُمانع أن أكره الفتيات، ولكن ألا يكون ذلك لأني لا أجرؤ على التحدث إليهنَّ.

من المهم أن تعرف أيضًا أني لا أخسر أحدًا ولا يخسر أحدٌ بسببي، فأنا أعرف كيف أتقدم وكيف أتأخر بنعومة أدرك خطواتها جيدًا...

اقتربت من باب الكلية.. ستبدأ الرحلة من الآن، صحيح أن المحاضرة لم تنتهِ، ولكن من قال إني سأجد مشكلة في أن أجد من أقضي معهم الوقت،فدفعتي الآن في محاضرة، ولكن بقية الدفعات موجودة وأنا أعرف الكثيرين منهم، بل إن البعض كان ومازال على صلة حميمة بي، ولم ينقلب إلى بند المعارف (دائرة المعارف البريطانية) اعذروني فقد جاء التشبيه على ذهني ولم أستطع منعه، فمعارفي كثيرون بحقٍّ.. دخلت من الباب، أرجو ألا تتخيل أنني أتحرَّك بالكادر البطيء، وأنا أضع النظارة الشمسية

ويتحول المشهد التالي على فتيات وأنظارهن تتحول إليَّ وينظرن نظرة الإعجاب ومجموعة من الشباب في ركن الشاشة يتحدثون سِرًّا وهم ينظرون إليَّ..... فهذا في السينما فقط.

أما أنا.. فأولًا لا ألبس نظارة شمسية، وثانيًا تحرُّكي داخل الكلية ملحوظ فعلًا، ولكن ليس لدرجة الحركة البطيئة، لا تخلو كل ١٥ ثانية من سلام على صديق أو صديقة أو صديقة أو صديقة أو وقفة للكلام مع أحدهم أو إحداهنَّ أو إحداهن أو إحداهن.. أتحركُ.. أبحثُ.. عيناي تدوران كالرادار داخل محجريهما و... فجأة يُعطي الرادار إنذارًا بالخطر... وجه يجب الابتعاد عنه، حاولت الاختباء قدر استطاعتي، اختبأتُ بين الوجوه وبين الأجساد حتى سمعت:

- **"طارق...عايزاك دقيقة لو سمحت".**

آه....نسيت أن أخبركم أن الاختباء غير مُجدٍ في معظم الأحيان.

- "إزيك يا نرمين عاملة إيه؟ "

بضيق يُقارب الغضب:

- **"ممكن أعرف إيه اللي بيحصل؟"**

- " فيه إيه؟ "

- **"إنت بقالك كام يوم ما كلمتنيش؟"**

- "تلات أيام تقريبًا.. ليه في إيه يعني، إنتـ "

لمن لا يعلم لابد من بعض الفلاش باك، ولمُحبي السينما، فلنتخيَّل أن الكادر توقَّف على وجهي وأنا أتساءل في غباء عن معنى عدم اتصالي ثلاثة أيام وعلى الصورة المتجمدة يأتي صوتي راويًا..

"نيرمين..أعترف أنها جميلة، أعترف أنها ذكية، وأعترف أنها أعجبتني فترةً، وأعترف أننا اقتربنا من بعضنا البعض جدًّا في هذه الفترة، وأعترف أننا خرجنا معًا بضع مرات.. ولكن أعترف أنني الآن لا أملك لها أي نوع من المشاعر، وأعترف أني لم أكن أملك لها أي نوع منها أيضًا، فكان لابد من انقطاع الوصل قبل أن يتطور الأمر عن ذلك.. أما عن هذا الموقف فهو موقف مُتكرر وأنا له... فلا يوجد ما يُقلق.. "

فلنرجع مرة أخرى لمشهد وجهي وهو ثابت..

- "تلات أيام تقريبًا.. ليه في إيه يعني؟ إنتِ متضايقة كده ليه في حد

ضايقك؟"

- **"وأنا اتصلت بيك كام مرة؟"**

- " كذا مرة"

- **"وليه ما كنتش بترد عليا؟"**

- "كنت نايم يا نيرمين..ممكن تهدي"

- **"إنت شايف إن مفيش حاجة تضايق يعني.."**

- "لأ إيه المشكلة يعني لما أنام؟"

- **"أوك..يبقى إنت اللي حكمت.. أنا مش هتصل تاني على فكرة لو عايز تتصل اتصل مش عايز خلاص. لإن دي مش أول مرة تعملها.. سلام"**

حتى هنا انتهت الحكاية جزئيًّا، فأنا لن أتصل بالطبع، وهي ستظلُّ قرابة الأسبوع على هذا الحال، ومن ثم ستتصل، ونُكرِّر الموقف نفسه حتى تتوقف الاتصالات نهائيًّا

انتهى ذلك الموقف، ورجعتُ إلى المجموعة التي كنتُ أقف معهم.. آه.. كدت أنسى أن أتكلم مع تلك الفتاة التي تعرفتُ إليها حديثًا في موضوع مهمٍّ، اسمها داليا... ماذا؟ ما الموضوع؟ حقًّا أنا لا أدري، ولكن سيظهر موضوع ما عندما أُخبرُها أني أحتاجها على انفراد دقيقتين لا أكثر، أظنُّ أني لن أستخدم جُملًا مثل: إني أعاني مشكلةً ما أو نصيحة ما، فأنا أعرفها حديثًا ولن يكون ذلك لائقًا،

أفضل انفراد في هذا الوقت تحققه عن طريق الكتاب الجامعي الذي لم أجد له فائدة أفضل من تلك.

- " داليا... أنا ما حضرتش آخر محاضرة لدكتور سامي محمود.. ينفع تشرحيهالي؟ "

- **"سامي محمود!!..ده الدكتور بتاعكم؟"**

- "بتاعنا إزاي! "

- **"يعني بتاع دفعتكم مش بيدينا احنا... طارق أنا أصغر منك بسنة".**

- "يا شيخة!!...قصدي أنا عارف أنا بس اليومين دول عايز أراجع على الكتاب بتاعه مرة كده بس لقيت إن في حاجات كده أساسيات كان لازم أراجعها علشان أفهم".

- **" زي إيه يعني؟"**

- " مش عارف الصراحة... بس يعني إنت موافقة على المبدأ إنك تشرحيلي؟ "

- **" أه.. أوك طبعًا"**

ولنرجع مرة أخرى لعالم السينما، فأي مخرج يحترم نفسه سيختصر ذلك الأسبوع الذي دار بيني وبين داليا في دقيقتين على الشاشة.. موسيقى رومانسية ولا مانع من غناء يصاحبها.. مشهد لي مع داليا داخل الكافتيريا هي تشرح وأنا

أُمثِّل السَّمع، ومشهد بعده أنا أحاول أنا أُغلق الكتاب وهي تنظر لي وتعيد فتحه مرة أخرى، مشهد تالٍ لنا نحن الاثنين نضحك.. نمشي معًا وهي تتقدمني بخطوة، وتنظر لي وهي مبتسمة والكتب بين يديها.. أنا أتحدث في التليفون وملامحي هادئة مبتسمة.. هي تتحدث في التليفون وعيناها تشيانِ بسعادة غامرة... مشهد لها تضحك وهي أمامي.... تتصنَّع الخِصام بدلال، وأنا أتصنَّع إرضاءها... مشهد لنا نمشي على كورنيش النيل وفي النهاية تخبو الموسيقى وأنا أودِّعها لتصعد إلى بيتها.

ذكية هي داليا وجميلة، بل اقتربنا من بعضنا البعض فترة، بل أعجبتني بعض الشيء، بل خرجنا معًا... ما هذا؟ لقد قلتُ هذه الجملة في موضع سابق.. لقد صرتُ أُكرِّر الكلام، ربما لأن الموقف يتكرَّر حرفيًّا مرة أخرى حتى آخره.. لن أطيل الكلام، فأنتم تعرفون ما النهاية.

قاعدة رقم واحد:
لا تَدَعْ واحدةً تُلهيك عن الباقي..

مشاهد أخرى من الأنا

مَن قال إني في ذلك الأسبوع لم أكن سوى مع داليا؟ لقد حدث شيء مُثير في هذا الأسبوع وهو لم يحدث من قبل، لقد تعرفتُ إلى ثلاث فتياتٍ جدد في الأسبوع نفسه، نسيت أن أخبركم.. فنصف من أعرفهم من أصدقائي قد عرفتهم لأن لي في مجال النشاط الطلابي داخل كليتي صولات وجولات.. وقد استخدمتُ النشاط الطلابي أيضًا للمزيد من التعرُّف إلى الفتيات.. لا أظن أن له فائدة غير ذلك. ما حدث في هذا الأسبوع.. رحلة ظريفة قد أقمناها داخل الكلية، وكان الحجز للرحلة يجري من خلالي.. كل هذا جميل، ولكن الأجمل أن تكون جالسًا في مكان ما من كليتك لتجد فتاة ما تأتي لتسأل عن الرحلة.... عادي... الأدهى أن يظهر من ذلك السؤال كل ما يخبر مثلي أن هذه الفتاة واجب التعرف إليها لا محالة.. جذابة هي.. رقيقة.. جميلة.... ببساطة قمر.. ولن أنكر أني جربت معها بعض كلامي فوجدت تجاوبًا (أقصد كنتُ ظريفًا فتجاوبت ضحكاتها).. أه واسمها ميار.

كان معها صديقتها لا تضاهيها جمالًا ولكن لها منه نصيب كمثيلتها اسمها هند، ولكن لم تخبرني نفسي بارتياح لها، المهم لم أُضيِّع الوقت كثيرًا.. فالإجراءات معروفة في مثل تلك الظروف.. أه.. هناك مشكلات في الرحلة.. للأسف لن يكون هناك أماكن... أه انتظروا.. قد يكون هناك مكان أو اثنان على يوم غد..ممكن أن آخذ رقم موبايل لأكلمك عليه إن توافر مكان... فقط.

> **القاعدة الثانية:**
> **إن لم تذهب**

أنت ستأتي هي، ولكن إذا ذهبتَ أنت فستصبح في طريقك لتودعها.

وأخذت رقم موبايل فعلًا.. ولكن موبايل هند.. لماذا؟ لأنه يجب ألا يظهر أني متلهف ، هذه الفتاه يعاملها الكل بلطف فلمَ لا أكون مختلفًا؟

لا تتخيل أني لن أصل لرقمها، فببساطة المكانان متوافران، ولكن سأتصل بهند – برغم عدم ارتياحي العام لها، وهذا قليلًا ما يحدث – وأخبرها أن مكانها قد وُجِدَ، والمشكلة الآن في مكان صديقتها وسأزيد من التفاصيل حتى يكون من الأسهل أن أكلم أنا الأخرى مباشرة، وبكل براءة سأطلب رقم ميار.

أنا سعيد.. وفي أفضل حالات نشاطي.. هناك أوقات تخبرك نفسك فيها أنك مرفوض ومكروه من الجميع، حتى أنا اختبرت تلك الأوقات.... ولكن هذا الوقت ليس مثلها. بالطبع سأختصر عليك الكثير، لقد فعلتُ كل ما في استطاعتي لميار بعد أن حصلت على الرقم، وقد جاءتني نتيجتي كتلميذ ناجح بعدما اجتهد في الاستذكار، مكالمات تحولت بعد ذلك إلى حوارات ومن ثم مقابلات، والأفضل من ذلك كله أني وجدت أن ما أفعله يُقابَل بالمثل، فهي أيضًا سعيدة بتقرُّبي إليها... صحيح هي ذكية ولا يتضح ذلك في عينيها بسهولة – السعادة وليس الذكاء – ولكنك لن تصل إلى قلب الفتاة في أسبوع كما فعلت أنا إلا إذا كانت هي الأخرى تقبل ذلك، وقد وصلت إلى قلبها فعلًا، ودار بيننا الكثير والكثير،لا أظن أنني سأكتفي منها قريبًا.. فأنا مستمتع بكلامي معها

ومستمتع بوجودها الدائم، وأعرف أنها تحبُّ ذلك أيضًا، فأنا أعرف كيف تُقرأَ الفتاة ككتاب.

لا أدري ماذا حدث، ولكن صار معظم وجودي في الكلية مع ميار، زاد الأمر عن حَدِّه، وصرتُ أذهب مع ذهابها، وأظهر عند قدومها، أجِدُها رقيقة.. صادقة.. طيبة، وأجدني مُرتاحًا فعلًا في كلامي معها.. هل لذلك علاقة بأي شيء؟ لا.. لا تظن بي الظنون يا صديقي، فلستُ من ذلك النوع، فأنا لستُ مستقرًّا حتى يستقر قلبي في يد إحداهنَّ، ولا أستمتع بذلك أيضًا. وما الفرق بينها وبين الكثيرات غيرها ممن انتهت معهنَّ علاقتي بغير أن يهتزَّ لي جفن؟ لست مهتمًّا بها، ولكني صرتُ أحبُّ الحديث معها جدًّا، لا أفكر فيها، ولكن قد أصبح تفكيري مشغولًا بقضيتي معها، لا تهمني، ولكني أخشى على مشاعرها أن تُجرح بسببي، لا أريدها أن تتركني ولا أودُّ تركها، لستُ أغارُ عليها، ولكني لا أطيق أن تذكر اسم أحدًا أمامي... لا لا بالطبع لا أحبُّها....

تغيَّر تُأم لا...لا أدري، ولكنَّ شيئًا ما بداخلي لم يعد كما هو، أعرف ذلك ولكن لن أعترف بذلك بسهولة، لماذا أجد في رقتها شيئًا مختلفًا؟ لماذا أجد في ضحكتها فرحتي؟ لماذا أجد في وجودها راحتي؟ لماذا لا أحتاج سواها ولا أريد أن أحتاج سواها؟ أبحث عنها وقت ضيقي ووقت فرحي. لماذا هي بالذات؟ قد تظهر الإجابة سهلة لمن يرى الأمر بسيطًا من الخارج، ولكن أنا رأيتُ من الفتيات الكثير، وأرى أنني خبرتُ كل الأنواع والأصناف والأشكال... لماذا هي؟ لا إجابة.... يبدو أن ما أمرُّ به هو الجديد بعينه ولم أختبره من قبل.

ولكن لا، سأثبت لنفسي أن ما يدور في ذهني وبالطبع في ذهنكم هو الخطأ بعينه، وقد جاءت الفرصة في ميعادها كأنها جاءت هي أيضًا لتثبت لي ذلك، شريف.... قريني قلبًا وقالبًا، بعض الأصدقاء يعتقدون أننا أخوان من تشابهنا في الملامح، وآخرون يعتبروننا أخوين لتشابهنا في الأفكار والصفات، أظن ذلك يكفي لوصف شريف.... ويكفي أيضًا لشرح الهدف من اتصال شريف بي..أكيد لن يحتاجني لأشرح له أساسيات المنهج في محاضرة الدكتور سامي محمود. المكالمة باختصار: ألو.. سنخرج.. بنات.. سينما.... مي وسلمى.. طلبتاك بالإسم.. سلام.

واضح جدًّا ما في المكالمة ولن أشرح كثيرًا مي وسلمى.. (شلتي) القديمة، هذا اليوم سيكون يومًا من الأيام التي افتقدتها مع المجموعة التي ستخرج فيه تخبر بالخير الكثير، ومعنى أن مي وسلمى قد طلبتاني بالإسم فإن شريف يَدَّخر على الأقل ثلاث فتيات أخريات لم يخبرني عنهنَّ، لا لشيء إلا لاحترام التخصص لا أكثر، فهذا عمل بين المحترفين.

لن أطيلَ الحديث، بالطبع موافق، وبالطبع خرجتُ. المشي الذي لا ينتهي والكلام أيضًا، ولكنْ هناك فرق بيني الآن وبين ما كنتُ عليه.... لعلك لم تلاحظ لماذا يطلبونني دائمًا للخروج بالإسم؟ فأنا متوافر في جميع الأوقات، وأعرف ما ينبغي عمله طوال الوقت، وأعرف أين يمكن أن نخرج دائمًا وظريف دائمًا... لن تجد من هم مثلي كثيرًا.

> **القاعدة الثالثة :**
> **إياك أن تُحْجِمَ عن نزهة بها فتيات حتى لو كُنَّ مرتبطات، فهي خبرة أنت تكتسبُها...**

الآن نرجع إلى موقفي وأنا مع هذه المجموعة، الآن أربع فتيات، أنا وشريف وهناك فتى ثالث صديق لشريف لم أهتم لأعرفه، وهم ينتظرون مني اشارة البدء لمكان ما كما هو الحال دائمًا.. لم أعلق، فأنا لم أفكر ولا أودُّ التفكير في ذلك.. تصرَّف شريف وكان اقتراحه دائمًا هو السينما.

صدقني أودُّ أن أصف لك ما يحدث دائمًا في تلك المقابلات، ولكن لستُ بأفضل مزاج الآن.. سأختصر قدر استطاعتي، ولك تخيُّل الباقي، بداية السلامات وإظهار الشوق وبعض الـ.. "وحشتني" و"وحشتيني" و" فينك ده كله يا توتي.." (طارق ولكن بتلك الطريقة المائعة لها)، "عندي كلام كتير أقولهولك"... وهي وسيلة للانفراد بي بعيدًا عن المجموعة ليكون هناك المزيد من هذا الكلام.

استلمتني مي وسلمى على نوباتٍ متتالية، ولأول مرة أشعر بإحساس الراديو الآدمي، فأنا أذهبُ بتركيزي وأعود مرة أخرى، وهي ما زالت تتكلم، لماذا صارتا مملتين؟ لماذا لم أعدْ كما أنا؟ لقد كنتُ أستطيع الكلام حتى أملَّأنا، ولكني لا أجد راحة في ذلك الآن، كنتُ أستطيع إضحاك مجموعة كهذه ببضع كلمات، ولكن لا أجدُ الآن متعة في ذلك.

أنهيتُ نُزهتي الخاصة، واعتذرتُ ورجعتُ إلى البيت، وقد وافقوا بسهولة لأني كما يبدو كنتُ عبئًا على هذه النزهة، أنا أتغير وهذا واضح لا محالة.. ولكن هناك محاولة أخرى وسأُجرِّبُها لن أترك التغيير يهزمني بسهولة.

الجديدُ في الأنا

صار لي الآن فترة لم أرَ الكلية ولم أذهب لأرى الأصدقاء، والأهم أنه صار لي الآن ثلاثة أيام لم أرَ ميار، صار الأمر معقدًا أحتاج للحديث إليها.... لا أدري بأي موضوع، ولكني أودُّ الحديث إليها وكفى، أمشي أبحثُ عنها في هذا المكان أمشي حثيثًا و.... رأيتُها.. تقف وقفتها المعتادة ممسكة حقيبتها التي تُعبِّرُ عن رِقَّتها وتبتسم تلك الابتسامة المذهلة، لكنها تقف مع شخصٍ ما، يبدو أنها سعيدة بعض الشيء بوقفتها، ذهبتُ على الفور إليها...

- "ميار..إزيك"

- **"طارق.. إنت كنت فين ده كل ده أنا قلقت عليك؟"**

- "ما هو كان باين"

ظهر عليها الإحراج خاصة أن هذا الحوار كان أمام ذلك الشاب الذي يبدو أنه ظريف بطريقة ما.

- **"أحمد..معانا في الكلية بس الدفعة اللي أكبر"**

- "أهلًا بيك"

ولم أتحمل وقوفي كذلك شبه مكتوف اليدين أمام ذلك الأحمر :

- "بقلك يا حمادة معلش علشان أنا محتاج ميار في حاجة مهمة... هستأذنك بقى وأخدها منك.. سلام".

مني لذلك الظريف الذي يبدو أنه شابٌّ بطريقة ما وبعدما ابتعدنا التفتت لي وقالت:

- **"إيه ده؟ ما كنت تضربه أحسن"**

قلتُ بثورة أظنُّ أنه احمرَّ لها وجهي:

- "يعني إنت كل اللي هامك سيادته، وأنا بقالك يومين ما تعرفيش عني حاجة ولا سألت ولا كأنك تعرفيني "

- **"والله سألت بس إنت كنت قافل موبايلك ومعرفتش أوصلك"**

فعلًا كنت قد أغلقتُ الموبايل..

- "هو إنت أصلًا كان في دماغك، واجي دلوقتي ألاقيكِ واقفة مع مش عارف مين.... وإنتِ مالك وماله وألا زعلانة أوي إني اتنرفذت عليه؟ "

كنتُ قد وصلت إلى أوج ثورتي وصوتي قد وصل إلى قمة حِدَّته وعيناي كادتا تطلقان شَررًا، وهنا حدث شيء لم أتوقَّعه وسط ثورتي تلك، وجدتُ أنها ابتسمت ابتسامة خبيثة بطريقة ما، هذا غيَّر صوتها الذي كاد يتمايل هو نفسه من الدلال.

- **"وهو ده اللي مزعلك؟"**

هنا انتهى الأمر.... لقد فهمتْ.... فهمتْ ما حاولتُ أن أُثبت خطأه، وقد انكشفتُ أمامها تمامًا:

- "أه هو ده اللي مزعلني... أصلك....كنتِ وحشتيني أوي "

بدلال مماثل لما قبله قالت:

- "خلاص... مش هعمل كده تاني.. متزعلش"

وفجأة نظرت في الساعة وهمَّت بالذهاب:

- "رايحة فين؟"

- "المحاضرة..إنت فاكر كل الناس زيك!"

ثم نظرت خلفها وهي تبتعد مسرعة لتلحق بالمحاضرة:

- "على فكرة.. وانت كمان"

الحق يُقال إنني فعلًا لا أشعر بارتياح لتلك التي تُدعى هند.. صديقة ميار وقد تأكَّد- ولله الحمد - هذا الشعور في اليومين التاليين، وتأكَّدت أنني أستطيع قراءة الناس فعلًا عندما جاءتني بالخبر السعيد:

- "إزيك يا طارق.."

قالتها هند وقد استوقفتني وأنا في طريقي أبحث عن ميار:

- " تمام الحمدالله"

قلتُها وقد بدتْ عليَّ علامات العجلة.

- "طارق صحيح ممكن أسالك على حاجة... هي الرحلة هتبقى الساعة كام بالظبط؟"

- "الساعة ٨ إن شاء الله... مشوفتيش ميار النهارده؟"

- **"لأ ما هي مجتش النهارده"**

ظهرَ عليَّ بعضُ القلقِ.

- "ليه مالها؟"

- **"لأ مفيش هي سافرت امبارح وراجعة كمان أسبوع"**

وظهرت عليَّ المفاجأة

- "سافرت... أسبوع.. طب والرحلة؟"

- **" لأ ما هي برضه مش هتعرف تطلع معانا الرحلة"**

شكرًا لك يا هند، شكرًا يا حاملة الأخبار السعيدة، ليس هذا فقط، بل ظهرَ أنها تودُّ أن تُكمل الحديث:

- **"عامل إيه بقى في المذاكرة...أه أنا نسيت أقلك.."**

مذاكرة..هي تودُّ أن تتحدث والسلام ولكني لستُ في مزاج يسمح بذلك، فيكفي منك تلك الجرعة اليوم، فقلتُ في عدم كياسة إطلاقًا:

- "بقولك أنا مستعجل أوي دلوقتي... سلام"

هل تتوقَّع مني أن أتصل بها، أنا الذي لم أعرف عن سفرها إلا بعد أن سافرت؟ أنا أُعامل التجاهل بحزم وبتجاهل أكثر منه...لا كلام في هذا الموضوع أكثر من ذلك.

يوم الرحلة صباحًا بالطبع لا أتوقَّع نصف ما كان مُقدَّرًا لهذا اليوم فسينتهي هذا اليوم على بعض الصداع والإرهاق من تنظيم الطلاب داخل الأوتوبيسات وغيرها من التنظيمات التي لا نهاية لها وبعد كل هذا.. لا ميار

التنظيم..التنظيم..التنظيم وبعض "مين لسه مجاش" أيضًا "أرجوكم التجمع الساعة.. وهنعمل..."وكل واحد ي...." وانتهى الأمر بسلام حيث كنا في الطريق المحدد لخط سير الرحلة، وقد بدأنا وانتهت أصعب خطوة.

لا يمنع بعض الغناء، بعض اللعب في الأتوبيس، لم يصدق من قال إن الرحلة بوجهتها، بخبرتي الطويلة... الرحلة تُقاس بمن معك فيها، فأنت مع أصدقائك إذن فهي رحلة سعيدة... أنت وحدك فلا تعتبرها شيئًا ذا قيمة – ولك أن تتخيل ما أنا فيه ولكن فعليًّا أنا لستُ وحدي برغم أني أعتبر نفسي كذلك، فإن ذلك لم يمنعني من الاندماج مع المجموعات الموجودة، ولم يمنعني من التعرف إلى آخرين، فأنا أُجيدُ ذلك في كل الظروف. ولكن... هناك فتاة.... لم تجفل عيناي في الطريق طوال الوقت، ساعة وعشرون دقيقة ولم أنظر لها أو ألمحها إلا ناظرة إليَّ، أنا أعرف تلك النظرة.. صدقيني يا فتاة لو كنتِ في حالة غير التي أنا فيها الآن لاختلف تصرفي كثيرًا، ولكني مُضطرٌّ لتجاهلك، صِدْقًا هي من النوع الذي تحيط به النظرات دائمًا ولا يسلم من التلميحات الدائمة من المارة، وفعلًا قد حاول البعض طوال الطريق لفت نظرها بكل الطُّرق..غناء.. نكت.. مزاح..صوت عالٍ، ولكن هيهات.. فهم مساكين لم ينجحوا في ذلك أولًا...

وثانيًا أن تلك الطُّرق لا دخل لها بلفت نظر الفتاة الى حَدٍّ كبير.

وصلنا...

بعض التنظيم.. إجراءات..تجمعات... فلنبدأ الاستمتاع، عادة لا أفعل الكثير، أجلسُ على الشاطئ وأتمتع بالشمس أو الهواء وبعض البحر..أحبُّ أن أفعل هذا كثيرًا، غالبًا ما يقطع هذه الراحة "ما تقوم يابني تلعب كورة معانا.." أو " هو الغدا إمتى.. لو سمحت "..أو "هو احنا هنروح الساعة كام" ولكن هذه المرة قطعه صوت فتاةٍ قالت:

- **"ممكن اقعد هنا لو سمحت؟"**

هي الفتاة نفسها التي لاحظتها في الأوتوبيس، فعلًا هي فتاة من النوع الذي ذكرته من قبل، وبعدما رأيتُها عن قُرب، فجمالها يضعها في تلك القوائم بجدارة.

- "طبعًا اتفضلي"

وجلستْ على الكرسي بجانبي، وظللنا قرابة خمسة عشر دقيقة صامتين.. أظنها لم تتوقع صمتي ذلك، وهذا ما قصدتُ فعله بالضبط، فكل من تقترب منهم ينتظر تلك الفرصة التي أنا بها الآن...فتاة جميلة تأتي لتجلس بجانبه ليبدأ بعض ال "الرحلة حلوة.." " بس الـ.. " وبعض ال "ههههه" الكل يفعل ذلك حتى أظنَّها قد ملَّت ذلك الأسلوب، ولكني مختلف عن الباقين يا صغيرتي.

> **القاعدة الرابعة: لا تعطِ المُتوقَّع منك لمن توقَّعه، فذلك أفضل وأكثر جاذبية وغموضًا.**

ظللتُ صامتًا أستمتعُ بالشمس والهواء حتى حدث ما توقعتُه، ولكن بطريقة لم أتوقعها..

- "هو ممكن نتكلم مع بعض شوية..؟"

قالتها فجأة وبلا مقدمات حتى أنا لم أستوعبها في بادئ الأمر، فأنا لا أعرفها ولا تعرفني، وعادة كنتُ أظنُّ أنَّ بداية فتح الحوار بين اثنين لا يعرفان بعضهما بعضًا لا تأتي بتلك الطريقة.. فكنتُ أتوقع: "هي الرحلة هتبقي...؟" أو مثلًا: "الدنيا حر جدًّا" أو غيرها من تلك المواضيع المشتركة ولكن جاء الكلام مباشرًا، صراحة أعجبني ذلك، فالطُّرق غير المباشرة متعبة وغير مجدية بعض الأحيان، فابتلعت اندهاشي وأنا محترف في ذلك وقلتُ بطريقة مَن يتعامل مع تلك المواقف يوميًّا:

- "طبعًا نتكلم زي ما تحبي"

- **"إنت طارق.. أنا عارفاك... وشخصيتك عاجباني وعايزة أتعرف عليك أكتر"**

صواعق متتالية.. لم أعتَدْ هذا النوع، ولكن لن أتهاوى الآن، ما زلنا في أول الجولة:

- "بالطبع ولكن..."

رغمًا عني لم أجد الكلمات المناسبة، وفي لحظة سكوتي تلك جاءتني الخطافية

التي لم أرَها سوى تلكمني:

- **"شوف أنا مش عايزة أستعجلك.... وأخد منك أي قرار احنا هنتعرف ونبقى أصحاب، وفي الرحلة هنعرف بعض أكتر ونشوف الموضوع هينتهي إزاي....أنا هقوم دلوقتي أنا خلاص قلت اللي عندي".**

بالطبع غادرتْ ولم تنظر حتى إلى الوراء، وفيما قد يفيدها النظر إلى عين مذهولة وملامح غير مستوعبة بعض الشيء، لم أُحوِّل نظري عنها إلا بعدما اختفت تمامًا عن نظري..

كان وقت الغداء..لا تتوقع الكثير، فليس هناك سوى المزيد من التنظيم والزحام ولا مانع من بعض المشكلات الصغيرة....انتهى الأمر بسلام،

ولكن بعد انتهاء كل شيء وجدتُها قادمةً... غريب هذا، إنها قادمة نحوي كلها ثقة، كأنها تعرفُني حقَّ المعرفة، أو تعلم أنني أحبُّ هذا النوع من المعاملة، أو أنني منتظرها لتأتي، خطواتها ثابتة سريعة وهي مبتسمة..

- **"أنا جبتلك الغدا بتاعك.."**

عادة ما يفوتني ذلك بسبب الوقت الذي يستغرقه التنظيم.

- "إيه ده بجد!"

- **"أه ما أنا عارفة إنك هتفوته بعد كل اللي بتعمله ده.. تعالى بقى نتغدى سوا"**

اسمها نادين..جريئة جدًّا، وذكية بشكل غير مسبوق، وفوق ذلك كله جذابة بشكل لافت، جلسنا قُرابة الساعة... عرفت فيها كل شيءٍ عنها، ولكنها كانت تعلم مُسبقًا كل شيءٍ عني..غريب ذلك، ولكنه ممتع.. أعترف.

انتهت الرحلة ونحن في طريقنا للرجوع.. بعض التنظيم.. الكل في الأوتوبيسات.. أجلسُ في مقعدي وقد لمحت شريف قادمًا نحوي ليجلس في المقعد الذي بجانبي... من الأكيد أنه يملك الكثير من الحكايات لهذا اليوم. جلس بجانبي وقد بدت عليه الحماسة ليخبرني بشيء ما.. - بالتأكيد لن يخبرني عن ميعاد محاضرة الدكتور سامي محمود - وكاد يبدأ حديثه لولا أن قاطعه صوتها وهي تقول:

- **"لو سمحت ممكن اقعد هنا؟"**

كانت هذه كما توقعتم من؟

نادين طبعًا

فردَّ عليها قائلًا:

- "لازم هنا بالذات؟"

قالت بكل بساطة الدنيا:

- **" أه..أصل أنا عايزة أقعد جنب طارق علشان بحب أتكلم معاه.."**

قد تبتلع تلك الكلمات لو كان ذلك بين (شلة) من الأصدقاء، ولكن شريف

لا يعرف نادين، ولا هي تعرفه، فتلك الكلمات غريبة جدًّا في هذا الموقف، ولكنه أذعن في نهاية الأمر بعدما نظر إليَّ نظرة: "أيوه يا عم" الشهيرة، ولكنه كان مُندهشًا بدوره لما يحدث، ولكنه قام في النهاية كنوع من "بلاش نقطع الأرزاق"

- **"ماشي يا طارق أنا بقى هلحق أقعد في الكرسي بتاعي..عايز مني حاجة؟"**

قالها شريف واختفى، وجلستْ هي بجانبي.. أعجبني حقًّا ما فعلته، فقد فعلت أغربَ ما يمكن أن تفعله إحداهن وأعجبه فيمن قابلتُهنَّ، ولكن أنا مُعجبٌ بذلك، هي جريئة تتقدَّمُ إليك ولا تكتفي فقط بانتظارك، هي صريحة تخبرك بما تحاول أنت تكهنه في أسبوع من تصرفات غيرها، تريحك من أسئلة: "هل أعجبتها؟ هل تضايقت؟" فهي تخبرك ولا تدع للحيرة مجالًا.. ولمحت هي في عيني نظرة الإعجاب تلك فقالت:

- **"أصلي مش بحب ألف وادور كتير....أنا حاسة إن الحركة دي عجبتك أوي، مع إني أحرجت صاحبك"**

- " أه.. يعني... "

- **"أنا شفته بيبصلك بحسد لما كان قايم..عنده حق أصل مفيش بنت بتعمل كده علشان ولد عاجبها"**

- " أه.. يعني... "

لاحظت هي قصيدة الـ " أه.. يعني " التي كنتُ أنشدُها فضحكت ولم تشأ أن تضغط عليَّ أكثر من ذلك، فغيَّرت الموضوع وبدأنا نتحدث في أشياء أخرى،

تحدثنا كثيرًا طوال الطريق.. حتى انتهى بنا الطريق وعُدنا أدراجنا الحمدلله سالمين، عادة بعدما أصل أنتظرُ حتى يذهب الجميع في طريقهم إلى بيوتهم، ولكن هذه المرة تحركت مباشرة بعد وصولنا؛ وذلك لسببين: أولهما أننا وصلنا متأخرين فعلًا، والثاني أني تطوَّعتُ لتوصيل نادين حتى باب بيتها – طبعًا فقد كان الوقت متأخرًا – وانتهى يوم الإرهاق.

بالطبع لن أذكر الاتصال الذي اتصلته نادين حتى تطمئنَّ أني عدتُ للبيت – طبعًا فقد كان الوقت متأخرًا جدًّا– فتلك أشياء عادية لا تستحقُّ الذِّكر كما ترى.

نمتُ نومًا عميقًا في ذلك اليوم، وكان استيقاظي على اتصال من رقم نادين:

- **"ألو..صباح الخير"**

كانت تلك من نادين..

- "صباح الخير.. إزيك"

كانت تلك مني قادمة من أعماق أحبالي الصوتية التي تأبى أن تصحو من النوم، فظهر صوتي كطفل لم يتعلم الكلام سوى البارحة.

- **"إيه ده إنت لسه نايم؟"**

- " لأ خالص..أنا حتى صحيت أهو"

أقولها وأحبالي الصوتية تلعنني لإجباري لها أن تصحو حتى يتماسك صوتي

في التليفون.

- **"طيب بقولك إيه ما تعدي عليا ونروح الكلية سوا"**

لم يكن في خطتي اليوم النزول للكلية أصلًا، هذا فضلًا عن أنه لماذا أذهب إليها ثم نذهب للكلية؟ صحيح أن بيتها في طريقي إلى الكلية- ولكن لِمَ لا نتقابل في الكلية مباشرة؟.

- **"أنا عارفة إن احنا ممكن نتقابل في الكلية على طول بس أنا عايزة اقعد معاك أكبر وقت.. لو هتتعب بلاش. أنا حتى ممكن أنا أعدي عليك"**

- "لأ خالص.. أنا هعدي عليكِ"

لن أطيلَ الحديثَ.. الحق أن الكلام مع نادين ممتع؛ فهي كما قلتُ ذكية، جريئة، تريحك من عناء تزيين الكلام وأن تحاول أن تكون دائمًا مُراعيًا لمشاعرها، وفي الوقت نفسه هي تفعل كل ذلك، تتقدَّم وتسأل وتتراجع وتراعي وتضحك وتداعب.. هي ممتعة جدًّا، ذهبنا إلى الكلية ونحن هناك قابلت حاملة الأخبار السعيدة دائمًا.. هند جاءت وظهر من أُسلوبها أنها تودُّ أن تتحدث وتفتح حوارًا فقالت:

- **"إزيك يا طارق.. إيه يابني مشفتكش في الرحلة يعني؟"**

قلتُ وأنا أودُّ أن تمضي في سبيلها وتتركني لحالي.

- "معلش أنا كنت مشغول شوية"

وقفنا لثوانٍ لم نجد كلامًا لنقوله.. ثم وجدتْ أن موقفها غريب، فلا مكان لها هنا، فودَّعتنا وانطلقت في سبيلها كما تمنيتُ.

قلتُ لنادين إنني لا أستريح لتلك المدعوة هند، ووجدتُها هي الأخرى توافقني الرأي.. أنا فعلًا أقرأُ الناس من وجوههم، وفي هند تلك ما لا يريحني بتاتًا.

مرَّت ثلاثة أيام تقريبًا، والحال مع نادين لم يتغير.. بل يزيد عن سابقه،فقد صرتُ أنا الذي أتَّصلُ بها الآن، وأنا الذي أطلب منها الخروج، وأن تنتظرني، فعلًا أنا أستمتعُ بكل وقتي معها.

مَن؟ ميار..أه. لم أحاول حتى الاتصال بها، وصِدقًا.. لقد وجدتُ مَنْ يهتمُّ بي أفضل منها، أعتقدُ أنني أخطأتُ في اختياري لميار..

الجديدُ في الأنا ٢

في اليوم الرابع وأنا في الكلية أبحثُ عن نادين لم أجِدْها، ولم تتَّصل حتى الآن، وحتى اتصالاتي لا تلقى ردًّا، وجدتُ هاتفي يرنُّ باتصال من رقمٍ غريب... أكيد هي نادين..

- "ألو.."
- " **إزيك يا طارق..**"
- "إيه يا نادين إنت فين..؟ "
- "**نادين... أنا ميار يا طارق.. إنت في الكلية؟**"
- "أه أنا في الكلية "
- "**أوك..أنا هاجي**"

وجاءت ميار وعلى وجهها علاماتُ الغضب، فلتنفجر غضبًا إذا أرادت.. لن أهتزَّ ولن أتحرك، هي من أخطأت فلترَ نتيجة ما فعلتْ..

قالت ووجهُها عليه علامات الجِدِّيَّة التي لم أرَها من قبل:

- "**إنت عارف فات كام يوم إنت متصلتش بيا؟**"

رددتُ بمنتهى البرود:

- "لأ ما عدتهمش والله.."

زادت حِدَّتُها:

- **"أنا بقى عدتهم..١٠ أيام وهسألك دلوقتي ليه متصلتش؟ ويا ريت تكون إجابتك مقنعة".**

رددتُ وقد استفزني هذا الكمُّ من التمثيل الغبيِّ من ناحيتِها:

- "إنت بتستهبلي..إنت عايزة تسافري من غير حتى ما تعبريني وطالبة مني بعد كده إني أكلمك كمان، إنت مجنونة.. وبعدين قوليلي إنت ليه حتى مكلفتيش خاطر سيادتك ورفعت سماعة التليفون تكلميني تقولي إنت في أنهي داهية"

أذهلَها ما فعلتُ، وأذهلتها تلك الطريقة التي تكلمتُ بها ولكني لن أتراجع عن حِدَّتي، بل سأزيدُ، ولستُ نادمًا على ما قلتُ.

- **"أنا موبايلي اتكسر وعلشان كده اتصلت بيك من نمرة غريبة زي ما أنت شفت، وحصلت حالة وفاة عندنا في العائلة.. فاضطرينا نسافر فجأة من غير ما ألحق حتى أبلغك، بس انا سيبت خبر مع هند إنها تقلك على الظروف دي.."**

هنا القشَّة التي قصمت ظَهْرَ البعير.. تلك الهند هي السبب في تلك المصيبة، ولكن لا سبيل للتراجُع الآن وإصلاح الأمور، فأنا لي قرارات مختلفة الآن غير التي كانت منذ ١٠ أيام... فقلتُ:

- "هند ما قالتليش على الكلام ده.. وحتى لو كانت قالتلي كنت هتصل بيكِ إزاي.. كان برضه نفس اللي حصل هيحصل تاني"

الآن نظرتها اختلفت.. الآن فهمتُ أنَّ هناك شيئًا مختلفًا... تلك الثورة التي هي فيها لم تكن لذلك السبب الذي قالته.. هناك سبب آخر، قلَّت ثورتُها ولكن حِدَّة كلامها ونظرتها ظلَّتا كما هما وقالت:

- **"عندك حق.. مش ده اللي خلاني متضايقة كده.. اللي مخليني هموت من الزعل إنك بقالك عشر أيام مع الهانم اللي اسمها نادين زي ما يكون إنت خطيبها..."**

وصلتْ بآخر الجملة إلى أقصى ثورتها المكتومة، وقد صارت تتحدث كالمجنونة.. دموعها تسيل، ووجهها حانق، غاضب، تنظر إليَّ في غضبٍ فظيع، ولم يمنعها ذلك من أن تُكمِلَ:

- **"ولا حتى فكرت تسأل على أي بني أدم.. كإن الهانم عملالك عمل.. من أول الرحلة وإنت عامل زي ظلها.. ده لغاية امبارح وإنت ما بتفارقهاش، وحتى النهارده كنت مستينها"**

لم أستطع أن أردَّ كل هذا السَّيل من المعلومات الذي لم أتوقعه عندها.. وهي لم تنتظر أن أردَّ قالت:

- **"متردش... الحكاية واضحة.... مفيش داعي نقلب الحقايق.."**

ومضت في طريقها دون أن أنبس ببنت شفة.

هناك صورة واحدة في خيالي الآن... تلك الصورة هي السبب في هذه المشكلات كلها، صورة واحدة لا أستطيع أن أفكر فيها سوى وأنا أتخيَّل أني

أُهشِّمَ رأسها، أنني أصفعُها على وجها، وأصرخ فيها "لِمَ فعلتِ ذلك؟"

أولًا لم تُخبريني عن ميار وظروفها.

ثانيًا وهو الأهم ميار لم تعرف كل تلك المعلومات من نفسها، وليست لها الصداقات التي تُؤهِّلها لتعرف كل ذلك عني.. فليس هناك سوى واشية واحدة هي هند أيضًا..... إنها أصل الشَّرِّ وفرعه.

أُفكِّر في كل ذلك وأنا أمشي في الكلية أبحث عن وجهٍ واحد.. هند.

حقيقة الأنا

وجدتُها....توجهتُ إليها كرصاصة، كانت جالسة كشيطانٍ.. تقرأ كتابًا يبدو أنه دراسي. وبكل غضب العالم الذي لم أستطع منعه:

- "عملتِ كده ليه؟"

انتفضت بكتابها من حدة ما قلتُ:

- **"في إيه...؟"**

لم أنتظرها لتكمل سؤالها. فأنا لم أحتمل أن أسكت حتى تكمل:

- " أنا عايز أفهم بس..إنت مالك بيا ومالك باللي أعرفهم، ليه مقلتليش على موضوع ميار وليه قلتلها كل حاجة عني..استفدتي إيه؟ ما إنتِ في حالك وأنا في حالي، إنتِ أكيد مش بني أدمة، إنتِ شكلك بس من برة طيبة..إنما إنتِ شيطانة.... حرام عليكِ"

هنا كان صوتي أعلى ما يمكن أن تصل إليه حنجرتي مع مراعاة أننا في حرم الكلية.

كانت قد وصلتْ في نهاية كلامي إلى الإنهيار..عيناها بدأتا تدمعان فعلًا ولم تستطع أن تقول سوى:

- **"أنا أسفة.."**

شكرًا لكِ، ولكن لو في يدي أن أردَّ لك الصاع صاعين لفعلتُ.. وذهبت حتى بدون أن أنظر لها مرةً أخرى، وذهبتُ إلى أي مكان أجلس فيه وحدي لأهدأ بعض الشيء مما أنا فيه.

جلستُ وحدي بعض الوقت، بدأتُ أهدأ إلى أن جاء صوتٌ مِن ورائي:

- **"أنا عارفة من الأول إنك مش بتستريح لما بتشوفني.. وعارفة إنك كارهني ومش حابب وجودي في أي مكان بتكون فيه.."**

نظرتُ ورائي فوجدت هند.. لم أنطق ولم أرد، ولم أحوِّل حتى وضعي لأواجِهَها فقالت مستطردةً:

- **"أنا حاولت أقولك موضوع ميار بس إنت كنت كل ما كنت أجي أكلمك بتبقى وكأنك متكهرب وتبقى عامل فيها مستعجل.... بس ده مش مهم"**

أيضًا لم أتكلم، فهذا ليس بالمبرر، ولستُ في المزاج الذي أتحدث فيه مع

أحد، فأكملتْ حديثَها:

- **"أنا كنت عايزة أقولك كل اللي بيحصل، كنت بحاول أحميك بس معرفتش... ميار معرفتش أي حاجة مني بخصوص موضوع نادين ده... كل ده كان رهان".**

ظننتُ أني أول الأمر لم أسمع جيدًا..جحظت عيناي من الدهشة...حولت رأسي إليها رغمًا عني.. لم أنطق... عيناي تنظران لها بدهشة تطلب منها أن تعيد ما قالته لأني لم أُصدِّقه.

- **"أه ياطارق..كل ده كان رهان"**

- "رهان؟!"

- **"أه..ميار ونادين..كانوا عاملين عليك رهان..."**

كيف؟ ماذا تقول؟ تتكلم عن رهان وأشياء من مُخِّها الشيطاني.

- **" قبل ما تقول حاجة.. صدق أو متصدقش..إنت حر، أنا مش عايزة منك حاجة ولا عايزة منهم حاجة"**

وتركتني وذهبتْ دون كلمات أخرى وسط ذهولي.

هل يُعقل هذا.. أن أكون مُغفَّلًا لهذه الدرجة؟ بسرعة أخرجت موبايلي واتصلتُ برقم نادين.

الموضوع ليس فيه الكثير ليُحكى..

- **"ألو ازيك يا طارق.."**

- "كل ده كان رهان عليا..كنتي متراهنة عليا مع أصحابك يا نادين.."

سكتت برهة من الوقت ولم أحتَجْ غيرها لأفهم:

- **"طارق..لأ الموضوع مش كده..إنت أكيد فاهم حاجة غلط.. يعني هي مكانتش.."**

لم أعطِ فرصة لكلماتها وأغلقت الخط.. وتحوَّلتُ إلى رقم ميار، اتصلتُ وانتظرتُ حتى تردَّ.

- **"إزيك يا طارق..أنا مش هقدر أتكلم.."**

- "كل ده كان رهان يا ميار...؟"

صُدمت وسكتت بنفس أسلوب قرينتها، وأيضًا لم أحتَجْ لأكثر من هذا.

- **"إنت عرفت منين؟ أنا عارفة إن ده غلط وأنا والله..."**

لم أنتظر لأكثر من هذا حتى لو كان لها من المبررات ألف.

لم يعد هناك شكٌّ.. أنا مغفل... هناك بعض الأشياء التي لم أختبرها من قبل.. أن تدرك أنك لا تفقهُ شيئًا عن البشر، أنا يا مَن كنت أعتبرني ملكًا في أمور الفتيات ينجح عليَّ رهانٌ، خطة قديمة قِدَمَ الأبيض والأسود.... آن الأوان لأتراجع عن مفاهيمي...ولكنْ لديَّ شيء واحد لأفعله قبل ذلك.

- "هند"

نظرتْ إليَّ ويظهر أنها كانت تبكي بحُرقة من منظر عينيها.

لم ترد فقلتُ لها:

- "مش هزعجك أنا بس عايز أسألك كام سؤال.."

- **"اتفضل..."**

قالتها وهي تحاول أن تمسح دمعها الراقد تحت عينيها.

- "هم ليه عملوا كده.. ليه يلعبوا بيا؟"

- **"والنبي مش مكسوف من نفسك...إنت اللي لعبت ببنات بعدد شعر راسك مش عارف ليه لعبوا بيك، وعامة هم كانوا بيتراهنوا عليك عادي وبكرة هيتراهنوا على واحد تاني وقبلك كانوا بيتراهنوا على واحد تاني، هم كده بيلعبوا زي ما أنت بالظبط دايمًا كنت بتلعب"**

لا مجال لنقاشها في ذلك، تنازلت عن وضعيتي الرسمية في الوقوف وقلتُ بتنهيدٍ:

- "أنا فعلًا كنت غلطان.. حتى في اللعبة دي، تخيلي إني سيبت واحدة حبيتها علشان بس واحدة تانية عجبتني شوية، يعني حتى في الغش غشيت، أنا أستاهل اللي حصل فعلًا وسيبتها علشان نادين تكسب الرهان، وطبعًا ميار اتضايقت جدًّا لما عرفت كده... وأنا زي الأهبل كنت فاكرها متضايقة من الغيرة"

- **"على فكرة نادين هي اللي خسرت.."**

- "نعم..!"

- **"الرهان كان أذكي من كده شوية... نادين اتراهنت مع ميار على إنك هتعجب بالبنت الهادية الرقيقة أكتر من البنت الجريئة الذكية الصريحة، بس إنت لما أعجبت بيها خسَّرتها"**

فتحت فمي كالأبله -بالفعل أنا أبله- واستطردتْ وقالت:

- "وكل واحدة فيهم كانت بتمثل الدور بالظبط وبيحافظوا على كلمتهم لبعض، ولا واحدة فيهم حاولت تخسر التانية بإنها تبعدك عنها"

- "أنا خلاص ما بقتش عارف أفكر... ده إذا كنت بعرف أفكر قبل كده..

وكل ده على إيه.. اتراهنوا على إيه يعني يستاهل ده كله؟"

- **"على خاتم شكله حلو كده"**

- "خاتم! هو انا مقامي تحت أوي كده... بس خلينا نقول مادام دهب يبقى خلاص مقامنا عالي"

- **"ده خاتم إكسسوار على فكرة لا دهب ولا حتى نحاس"**

- "خلاص أرجوكِ متكمليش..أنا كده كده مش ناقص...إنتِ ليه أصلًا قلتيلي ما كانت المشكلة هتخلص ومش هعرف إني مغفل كده.. بدل ما أفضل طول حياتي أحاسب في نفسي.. حرام عليكِ"

هنا ثارتْ بلا مقدمات ثورةً جعلتني أنتفضُ فزعًا:

- **"إنت إيه؟..مش بني أدم....كل ده بحاول أحميك وإنت زي ما إنت!**

إنت تستاهل كده وأكتر من كده كمان وما تستاهلش اللي أنا عملته معاك"

ونهضتْ في سرعةٍ ولملمتْ أشياءها وأخذت تسيرُ في طريقها مُسرعةً لتبعد عني، ذهبتُ وراءها لأعتذر.. فعلًا ما قلتُه لم يكن مكانه هنا، هي فعلتْ ذلك وأنا أُجازيها بأن ألومها هي لا الأُخرتيْنِ، أسرعتُ وراءها حتى صرتُ أمامها أسدُّ عليها الطريق.

- "أنا أسف"

نظرتْ لي بعينين شبه دامعتين:

- "أنا هقلك أنا عملت كده ليه يا طارق..أنا عملت كده علشان...بحبك"

ومضت في طريقها ولم أستطع منعها، هذا لأن عقلي كان غائبًا، ولا أدري لِمَ تتوالى عليَّ الصفعات الآن؟ لِمَ أصير مُغفلًا في كل مرة أفتح فيها فمي أو يتحدث فيها الآخرون؟ أنا لم أعد أستطيع أن أقنع نفسي أنني أفقه شيئًا عن الناس.

مَن أحببتهما حقًّا لم يكونا كما هما وصرتُ مغفلًا، مَن أحبتني حقًّا كنتُ أكرهها وطوال الوقت لم أكن أطيقُ رؤيتها، وأيضًا صرتُ مغفلًا، وعندما اكتشفتُ الحقائق من حولي حاسبتُها هي وتركتُ الأخريين وفعلتُ ما يفعله أي مغفل.

لم أعد قادرًا حتى على التفكير، ولم أعرف كيف أفكر وكيف أثق بأفكاري وتفكيري؟ فأنا... مغفل. عدتُ إلى المنزل.. دعك من شكلي، دعك من أني لم أستطع النوم، ولكني لم أجد في عقلي سوى فكرة واحدة سأنفذها غدًا.

وفي اليوم التالي ذهبتُ لأجد هند في مكانها المُفضَّل:

- " هند..أنا عايزك تساعديني..اليومين اللي فاتوا عرفت فيهم حاجات كتير مكنتش عارفها.. مفاهيم عندي اتغيرت وحاجات تانية اتغيرت... ناس كنت شاريهم بعتهم وعرفت أشتري مين.. ممكن تساعديني بحبك ليا... إني أحبك؟ ممكن تساعديني أبقى إنسان أحسن وانقل مشاعري لإنسان أحسن"

كانت تنظر إليَّ بنصف اندهاشٍ ونصف تركيز وبعدم تصديقٍ كامل.. فأكملتُ:

- "أرجوكِ..أنا حتى مبقتش قادر أفكر...اختاري براحتك"

كدتُ أتركها وأمشي إلا أني وجدتها في النهاية تبتسم وتقول:

- **"هتحاول تحبني بجد.."**
- "أه..هحاول بجد"
- **"خلاص أنا موافقة"**

وبعد أسبوعين من ذلك التاريخ صار طارق وهند شخصين متلازمين يلتزمان بوجود بعضهما البعض، ولا ترى طارق سوى مع هند أو هند سوى مع طارق، وفي مرة كانا يمشيان في الكلية وهند ترتسم على ملامحها علاماتُ السعادة التي زادت أخيرًا، وذلك الذي لم يلاحظه طارق كعادته ولكنها كانت سعيدة بذلك الخاتم الإكسسوار الذي صار في يدها....فقد ربحت هي الرهان

بالطبع.... ولِمَ لا؟ فهي صاحبة الفكرة منذ البداية.

"طارق...أعترفُ أنه وسيم، أعترفُ أنه ذكي، وأعترفُ أنه أعجبني فترةً، وأعترفُ أننا اقتربنا من بعضنا البعض جدًّا في هذه الفترة، وأعترفُ أننا خرجنا معًا بضع مرات.. ولكن أعترفُ أنني الآن لا أملك تجاهه أي نوع من المشاعر.. فقد كان رهانًا لا أكثر".

هند

حياةٌ.. بالصدفة

"لقد أنقذَ اللهُ الكثيرين على يديَّ.. أنا بَشرٌ أعطاني الله الأداة المناسبة وسخَّرني للناس... ولقد سخَّرتُ علمي ومَهارتي كوني جراحَ قلب لأخدم المرضى والمحتاجين، لم يُثنِني يومًا عن خدمتهم شيءٌ، والآن وبعد أن صرتُ من أفضل جراحي القلب في المنطقة سوف تكون أساليبي الجديدة ومهارتي منهجًا للآخرين، لن أبخل على أحد بعلمي وبالطبع...."

بالطَّبع أتمنَّى أن تكون هذه هي الكلمات التي أكتبها في مذكراتي في يوم ما بعد سنين عدة، أو مثلًا يكون ذلك هو حواري في أحد البرامج التليفزيونية.. فأنا أنوي أن أُكثِر من هذه اللقاءات طبعًا عندما أصبح ضليعًا في جراحات القلب، ولكن الآن، وأنا طبيب امتياز أتنقَّل بين أقسام المستشفى لأتعامل لأول مرة في حياتي مع المرض والمرضى وجهًا لوجه، فالدنيا لديَّ ليست سوى بضعة أكياس من الدم.. وأن أكون كل يوم عند موظف الإمضاء الصباحي... وبعد ذلك أكون مرشدًا قويًّا للمرضى، آخذهم بين أقسام المستشفى المختلفة وهي مهمة ليست باليسيرة كما تبدو- وأُخبر الأطباء المقيمين في أفرع المستشفى المختلفة بما يريدون أن يتحدثوا به معًا، ولا مانع إن كانت حوارات كاملة أنقلها جملةً جملةً..

مثلًا النائب في قسم الباطنة يودُّ أن يخبر النائب في قسم النساء والتوليد عن حالة فاطمة السيد، إنها حالة تخصُّ قسم النساء.. فأذهبُ أنا لأخبر نائب النساء

تلك الجملة فيخبرني: "وأنا مالي.. أعملها إيه يعني؟" فأذهب إلى نائب الباطنة لأخبره أنه (ماله) فيقول: "ماله إزاي دي حامل"، فأذهب لأخبره ذلك الخبر الذي أخفاه عني نائب الباطنة لسببٍ ما، فيردُّ نائب النساء:"هو أي واحدة حامل يبعتوها قسم النسا.. وأنا مالي".. برغم بعض الجنون تجد في الكلام بعض المنطق، وهو الذي أخبرت به نائب الباطنة، ففاجأني بأن مرضها هو عبارة عن نقص أنزيم يؤدي إلى تجلط الدم الذي يؤدي إلى إجهاض الحمل أكثر من مرة، وهو يحتاج إلى متخصص في أمراض النساء ليشاركه في المتابعة والاستشارات وما إلى ذلك... للمرة الألف لا أفهم ما المتعة في إخفاء المعلومات عني.. أهي للحفاظ على خصوصية المرضى، أم لأنه لم يكن يتذكر.. أم أن المرض يتطوَّر في كل مرة أذهب فيها إلى نائب النساء؟ إن عالم الطب هذا غريب حقًّا.. المهم يجب أن أُسرِعَ قبل أن يتطوَّرَ المرض فتصير رجلًا!

بالطبع انتهى وقت الاستشارات في عيادة النساء، وكان النائب نفسه يقف أمامي في المستشفى.. يرفض رفضًا تامًّا أن يُدلي بأقواله بعد أن عرف كل هذه المعلومات القيمة.. لأن وقت الاستشارات انتهى، وعليَّ أن آتي غدًا، ذهبتُ بتلك المعلومات إلى نائب الباطنة فأخبرني أنه لا مشكلة في ذلك فسوف يكلم أحد أصدقائه في قسم النساء ليسأله عن بعض المعلومات لا أكثر...

وهذا يعتبر يومًا من ضمن أيامي العادية داخل المستشفى كوني طبيبًا صاعدًا

واعدًا،أتمنى أن أتعلم كل شيء وأي شيء، لا أفهم قطعًا ما المهمة الموكلة إليَّ؟ شيء كثير من عدم المنطق في كل شيء وعدم الترتيب، لا أهمية لمهمتك ولا أهمية لك كترس في الميكنة الكبيرة لا تخدم المرضى ولا المستشفى أو حتى نفسك... ولا تنخدع بأنك إن أردتَ أن تكون مفيدًا من قلبك فسوف تكون.. لا أدري.. لقد تعلمتُ طوال حياتي أنك إذا أتقنتَ ما تفعله ولم تَستهِن به فسوف تصبح مُفيدًا وفعَّالًا.. ولكن تلك النصيحة غير مفيدة بالمرة لمن هم في مكاني، لقد جربتُها أكثر من مرة، وهذا هو ما أراه...ليس منطقيًّا بالمرة.. كيف أُتقن ما أفعلُ وأحاول وأحاول..

ويضيع كل هذا هباء، أنا في مكاني دون حتى أن أرى أي تغيير.. لا أريد تغييرًا شاملًا ولكن أي تغيير طفيف حتى إن كان في المريض الذي أفعل من أجله هذا.

اليوم هو يوم جديد... يوم عادي.. موظف الإمضاء... بعض التلكؤ حتى لا أكون أول الحاضرين أمام النائب المقيم.... ومن ثم الصعود إلى القسم بالمستشفى... الآن نقف جميعًا ليأخذ كلٌّ منا مهمة من المهمات الصعبة والشاقة التي لابد لها من طبيب كفء وخبرة وذي هِمةٍ عالية حتى يؤديها على أكمل وجه... فمثلًا أول مهمة كانت: "واحد فيكو هيحضر أكياس الدم"

قالها النائب وهي مهمة بالطبع تتضمن إحضار نحو عشرة دفاتر تحوي أوراق الدخول الخاصة بالمرضى المطلوب لهم أكياس الدم وكتابة الأكياس المطلوبة

بالضبط بداخلها والختم عليها، وحينها يكون أمامك صراعان.. أولهما صراع مع الممرضة في أن تحصل منها على دفاتر المرضى.. والآخر مع موظف بنك الدم الذي لديه قناعة تامة بأنك تُهرِّب الدم وتتاجر فيه لحسابك الخاص داخل المستشفى...

المهم استطعتُ أن أهربَ من أول مهمة، فكانت الثانية "حد هيودي العيان للمناظير.." والتي تتضمن أن تقنع المريض أن يترك فطوره وأن تنتظر في الطابور وتخبر العامل – أي تتوسَّل إليه قليلًا أن ينقل المريض– لا.... لستُ أنا هذا الرجل. جاءت المهمة الثانية والثالثة والرابعة والحمدالله استطعتُ أن أهرب منها جميعًا بأني في الأصل لم أدخل إلى الغرفة التي فيها النائب، بل ظللتُ خارجها حتى تساقطت جميع الضحايا، الآن أستطيع أن أدخل لأثبت حضوري وأنني طالب مجتهد حضرت ولم أجد ما أفعله.... "إيه إزيك يا دكتور.." قلتها وأنا منفرج الأسارير ومنشرح الصدر..

"يا كريم...مش تيجي بدري.." قالها وهومنفرج الأسارير ومنشرح الصدر بالطبع؛ لأن المهمات التي أثقلت ظهره انتهت..."معلش طب أنا همشي لو مفيش حاجة" قلتها وأنا منفرج الأسارير ومنشرح الصدرأيضًا... " لأ..روح لسلوى..لسه في أحوال معاها هي كمان.." قالها وانفرجت أساريره وانشرح صدره أكثر من ذي قبل...

بالطبع لمن لا يعلم سلوى هي الطبيبة المقيمة الأخرى في القسم، وهي

التعريف الآدمي للسلحفاة، فهي بطيئة الحركة والتفكير والكلام لدرجة تتمنى أن تموت وهي تتحدث لتصحو يوم القيامة تشكوها إلى الخالق..أو تصفعها على وجهها بلا سبب وبلا اكتراث للنتائج، طبعًا تمنيتُ على الله أن تكون قد انتهت من أحوالها وهي مهماتها الطبية الرهيبة وذهبتُ إلى النائبة المسئولة سلوى وفي روايات أخرى النائمة (المسطولة) سلوى:

"دكتورة سلوى إيه الأخبار؟"

نظرتْ إليَّ ببطء:

"إزيك.."

قالتها فوصلت إليَّ ببطء ثم أكملتْ:

"كويس إنك جيت.. أنا لسه ما بدأتش في أي حاجة".

طبعًا فبدايتها هي عندما ينتهي الآخرون ويموتون جميعًا تكون هي مازالت في طور التفكير في البداية.." طيب كويس عشان تديني أي حاجة خفيفة كده فيها فايدة.." قلتُها وأنا أكاد أبكي لأن حظي جاء بي إليها، وأنا أُقسم أني لن أتأخر بعد ذلك إلى الوقت الذي يجعلني مع سلوى الآن وبالطبع لم يوجد غيري، فالكل انطلق إلى مهماته بعيدًا عنها، قلَّبت في أوراقها وقالت:

"**بص يا سيدي...**"

هي فيها بص يا سيدي! يا رب.

"هتاخد العيان اللي اسمه... مش فاكرة.. شوف هو الدفتر بتاعه مع سامية الممرضة أنا قايلة لها عليه امبارح.. المهم بقى هتروح بيه لقسم الباطنة.. تطلع بيه هناك في قسم القلب... هتلاقي دكتور أحمد هناك.. قوله ده العيان بتاع سلوى اللي جالك امبارح.. هو عنده حاجتين كده في القلب هوعارفهم الحاجة الأولانية ليها دوا كده كان قال عليه.. والتانية برضه كان قايل على دوا بس ما كتبش حاجة في الدفتر.. اسأله نعمله احنا إيه.. نديله الدوا الأولاني ولا الدوا التاني اللي هو قالهم امبارح..."

فسألتها:

"الدوا ده هندهوله في الحاجة الأولانية ولا الحاجة التانية.... اللي هو عارفهم..؟"

المهمة واضحة وضوح الشمس... مريض غير معروف.. طبيب اسمه أحمد مما يؤكد أن خطيبته اسمها منى وتلك علامة مميزة في شخصيته تجعل التعرف إليه أسهل وأسهل... يعاني مرضين غير معروفين قد يكونا إنفلونزا الطيور والخنازير معًا وفي النهاية هناك دواءان "هو عارفهم "...وأنا عبارة عن قائد المركبة لهذا المريض لا أكثر.... مما يظهر أن المهمة الطبية جليلة بحق لا يقوم بها سوى طبيب قضى آخر ست سنوات من عمره في المذاكرة والإحباط والهم والغم حتى يصبح طبيبًا لتوصيل المرضى إلى المنازل أقصد إلى المستشفى.

المهم.. لا فائدة في التحدث مع الأميرة النائمة أكثر فهي لا تفقه أكثر مما

قالته، بدأت في إعمال عقلي لأني أودُّ أن أعود للمنزل في أسرع وقت.

ذهبتُ إلى الممرضة سامية، وحاولت أن أذكرها بذلك بالدفتر.. جربت معها كل شيء من المحاولات الشفهية حتى التنويم بالإيحاء.. مرورًا بالبكاء

و مرورًا بالدفاتر واحدًا واحدًا أمام عينيها.. وبالمصادفة مرَّت بجوارنا ممرضة لا أعرف اسمها وسمعت الحوار وقالت..

"المريض اللي اسمه أحمد السيد.. ده دكتورة سلوى مكلماني عليه امبارح..."

قلتُ لها وأنا أشعر بثقل في النصف الأيمن من جسدي:

" يعني ما كانتش قايلة للممرضة سامية عليه؟!"

ردَّت بكل براءة:

"**لأ..خالص**".

قلتُ لها للحصول على أي معلومات:

"وقالت لك إيه تاني عنه..؟"

"**ماقالتش..قالتلي ده المفروض يروح قسم القلب بكرة..**"

تلك الخبيثة...لم تترك لي أي معلومة في الجوار.. ولكن سأعرف.... لابد لي من يوم سوف أعرف فيه...

ذهبتُ إلى المريض أحمد السيد متثاقلًا وأنا أجرُّ قدمي.. لا أودُّ حتى أن أفتح

تذكرته لأرى ما بها...عنبر ٤.. وجدته.. ودخلت على المريض.... ولكنني توقَّفتُ... وجدتُ مشهدًا أوقفني لحظات... هذا رجل ليس بالعجوز ولكنه ليس صغير السِّن... يجلس بجانبه ابنه وزوجته..هو في حالة ضعف..تفهم كلمة الوهن عندما تنظر إليه... ملامحهم يائسة.. تلك الملامح التي تتمنى أن تجد في أي وجه يد المساعدة لحالة أبيهم.. ملامح لا تبكي ولكنها تُبكيك... زوجة رأت الكثير في حياتها، ولكنها تعلم أن ما هنا هو أمر الله ومن المحتمل ألا تخرج بزوجها حيًّا خارج المستشفى...

والابن يعلم تلك الحقيقة، ولكنه يقاوم تصديقها لآخر لحظة.. هذا الرجل يُشبِهُ أبي إلى حدٍّ كبير.. أصبحت داخل المشهد.. لا أستطيع الآن أن أفصل نفسي عنهم... أشعر شعور الإبن كأنه أنا.. وشعور الأم كأنها أمي... نظرتُ نظرة إلى الملف لأول مرة.. فعلًا الحالة تستدعي استشارة ُمتخصصٍ في القلب.. التاريخ المرضي سيئ... يجب ألا يقوم هذا الرجل من سريره، وإن فعل فهو على كرسي متحرك... يجب أن أجد العامل لينقل هذا الرجل..بحثتُ في كل مكان.

.. يبدو أنه مُختفٍ في أحد الأماكن هنا أو هناك... حتى لا يطلب أحدهم منه شيئًا.. تبًّا للإهمال... ولكن الأمر لا ينتظر ولا يمكن أن أدع هذا الرجل يتحرك.

ذهبتُ لأخْذِ الكرسي المتحرك بنفسي، أعلم أن تلك هي وظيفة العامل..

ولكني لن آبه لذلك، فهذا الرجل يحتاج لمساعدة.. بدأت في نقله.

بدأنا في التحرُّك إلى قسم أمراض القلب... كنتُ قد نسيتُ الوقت، ونسيت أني أودُّ الذهاب باكرًا، كل ما أفكر فيه الآن هو هذا الرجل، وبدأنا التحرك إلى قسم القلب.. الأم والابن ينظران إليَّ كأني منقذهما.. ولكن الأمرّ من ذلك أني آخر إنسان يملك لهما نفعًا أو ضرًّا.. فأنا لا أعرف إطلاقًا ما يمكن أن يكون مفيدًا لهذا الرجل.. كل ما أفعله هو أني أحاول وضعه في يد مَن يعرف.. هذا كل ما أستطيع فعله.. وسأفعله..

مَنْ هم مثلنا ينتظرون طويلًا.. في كل شيء.. ننتظر في طابور من أجل الخبز وطابور آخر من أجل مياه الشرب وطابور من أجل العلاج...

وما أكثر ما تنتظر من أجله عندما لا تملك المال... نحن هنا في ذلك المستشفى منذ أسبوع مضى وزوجي يعاني منذ سنوات مرضًا ما في قلبه... ولكنه الآن في أسوأ حال رأيته فيها... يرى الأطباء أنه في حاجة إلى عملية جراحية.. والقصة المعتادة..لا مال.. إذًا انتظروا في طابور اللا مال.. ننتظر حتى يأتي دوره.. ولكن في هذه الفترة تسوء الحالة أكثر وأكثر... يريدون استشارة طبيب القلب عن حالته، في كل صباح يأتي طبيب ما يبحث عن العامل، ويبحث عن أوراق، ويبحث عن لاشيء، ويذهب، ونؤجل الاستشارات لليوم الذي يليه... إلى أن أتى ذلك الطبيب... يبدو عليه القلق والاكتئاب وهما يبدوان عليهم جميعًا.. إنه طبيب شاب ممن يطلقون عليهم امتياز.. هم أطباء شباب ولا خبرة لهم بشيء..

ولكن هذا الشاب.... هو قليل الخبرة مثلهم... ولكنه يريد أن يساعدنا يظهر ذلك في كل شيء يفعله.. قد يموت زوجي في النهاية.. لكن هناك من لن يتركه يموت دون أن يفعلوا شيئًا... مثلي أنا وابني.. والآن ذلك الطبيب الشاب..

نمشي في طُرقات المستشفى... هو لا يعرف الطريق أصلًا.. ولكنه يسأل كل من يقابله... يظهر عليه القلق... يُسرع من خطواته... وتوقَّف قليلًا ليسأل ممرضًا ما على طبيب ما في قسم القلب... وفجأة حدث ما لم يكن متوقعًا... بجانبنا كان ولد مُعوَّق كليًّا تجره أمه على كرسي متحرك... لا يستطيع تحريك أي طرف من أطرافه على ما يبدو.. سهت عنه أمه لحظات... كاد كرسيه ينقلب على الأرض لولا أن لحق به ذلك الطبيب وحاول أن يسند الولد حتى يمنعه من السقوط... ولله الحمد نجح فعلًا في أن يعدل وضع كرسيه إلى وضعه الأصلي، فلولاه لسقط ذلك الولد المعوَّق على وجه، فهو لا يستطيع حتى أن يدفع بجسده عن الأرض.... وبعد ذلك مضينا في طريقنا بعد ذلك، ولكني التفتُ إلى الولد مرةً أخرى، وهنا هالني ما قد رأيتُ... لمحتُ ما لم يلمحه أحد في وسط الموقف الذي حدث... في موقع سقوط الولد المعوَّق كان هناك سيخ من حديد مُثبَّت في الأرض تركه بعض العمال لا أدري لأي سبب... أغلب الظنِّ لولا أن لحق ذلك الطبيب بالولد لكان دخل بطوله في عينيه ووصل إلى رأسه.... بارك الله ذلك الشاب، يبدو أن الله جعله سببًا في حياة ذلك الصبي.. هو حتى لا يعرف ذلك...

لقد لحق الصبي وأسرعَ الخُطى ليكمل الطريق... وجعلت أفكر طول الطريق... ماذا كان سيحدث لهذا الصبي لو كان ذلك الطبيب مثل بقيتهم، وذهب ولم يُعرنا اهتمامًا، ولم يأتِ لهذا المكان في هذه اللحظة.. أغلب الظن أن ذلك الطبيب الشاب قد أنقذ حياةً ما هذا اليوم.. رغم شبابه وقِلَّة خبرته...

هي بخير

اليوم هو ما ارتقبتُه منذ رأيتها منذ عرفتُها منذ عرف الخرس طريقًا لحلقي منذ عرف لساني كيف يتجمَّد منذ أحببتُها...

ولكن هيهات سأجبره اليوم سأُخضعه اليوم سأجعله يعترف ليخلصني أحبُّها.. أعرف أنها تعرف تحبني...تعرف أنني أعرف ولكن كلينا خجول أن ينطق بها وكل هذا خلاصه اليوم نهاية وبداية سأقولها وأطلبها للزواج هي مَن سيعيش معي بقية العمرهي مَن أوقعتْ نفسها في ذلك المأزق هي مَن تحمَّلتني وتحمَّلت طِباعي بكل سرور.

أعرف أني حادُّ الطباع، هذا طبيعي، فأنا في مجال رجال الشرطة كلنا حادو الطِّباع، تحمَّلت خشونتي في التعامل، فأنا وبعد خبرتي تلك وصلتُ إلى تلك الرتبة العالية ليس لأني رقيقٌ كنسمة على المجرمين، تحمَّلت غروري وظنِّي أني أستطيع فعل أي شيء، أعرف أنني لستُ ألطفَ الرجال، ولا أذكاهم ولا أوسمهم، ولكني أكثر رجل أحبَّ تلك المرأة في التاريخ ماضيه ومستقبله وبالطبع حاضره، هي تعرف ذلك أيضًا وأظن أنها حسنتي الوحيدة لديها، الموضوع بسيط، دعوتها على العشاء لا مشكلة في ذلك، وبعد أن ننتهي سأخبرها مباشرة، وبالطبع لم أنسَ أن يكون المطعم أفخر مطاعم البلد لا يأتيه سوى الأثرياء.

أظنُّ أن بقشيش النادل هنا لا يقل عن يومية عامل بسيط في مصنع

وحتى لو أن....

لقد ظهرت

لقد دخلت من الباب.... هنا انتهى الكلام، وسكتت الأفكار، وخرج الكل من مجال بصري، عدتُ بلا أفكار ولا قرار...

لا... يجب أن أحتفظ بتركيزي، فاليوم يوم مهم، ولن يعود الأمر بعده كما كان، ولكن ضحكتها تسلبني أنفاسي ونظرتها جميلة فعلًا، لستُ من الطِّراز الرومانسي الذي يذوب ويشتاق ويكثر من البكاء لكني أشتاق إليها فعلًا...وتسلبني نظراتها وضحكتها فعلًا..... وفعلًا...... بكيتُ.

جلستْ أمامي تُسلِّم عليَّ كما تفعل دائمًا ثم تنظر إليَّ.. فقط ذلك ويأتي الكلام من أين.. لا أدري.. لماذا لا ينتهي؟ لا أدري، لستُ ثرثارًا، ولكن الكلام معها لا ينتهي ولا آمله بحقٍّ، بعد برهة من الوقت وبعد الإشارة المتفق عليها مع النادل يأتي بالمتفق عليه، فاليوم عيد ميلادها..

لا أحفظ تواريخ أعياد ميلاد غيره، حتى عيد ميلادي الخاص لا أحتفل به.يكفي عيدها هي لنا نحن الاثنين، أتت التورتة وبها الشموع، وتوقَّفنا لنغني، وبالطبع أسوأ ما أُقدِّم لها في عيدها هو غنائي؛ لذلك أحاول أن تكون هديتي قيمة

حتى تعوضها عن ذلك الذي سمعته.

"سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا جميل... سنة حلوة سنة حلوة سنة حلوة يا أ....."

بوووم

دوَّى الصوت في المكان كقنبلة حتى أني لم أدرِ مصدره، ولكني بالطبع أعلم ما هو..ومع الصوت دخل خمسةٌ من المُقنَّعين بداخل لباسهم الأسود ولا يظهر منهم سوى عيونهم، وصوت منهم يقول: "بدون مقاومة.. ضحوا بجزء مما تملكون واحتفظوا بما تبقى من حياتكم.."

ستخسرون الكثير لو فكرتم في غير ذلك"

والأربعة الآخرون: واحد يُشهر سلاحه في وجه الموجودين مع ذلك المتكلم والثلاثة الآخرون يفرغوا جيوب الموجودين، ولم ينسوا بالطبع الحلي والساعات وغير ذلك، والتقت عيني وعين من صَدَرَ عنه الصوت، أنا أعرفُ هذا الصوت،لقد تذكرتُ هاتين العينين، وهما أيضًا تذكَّراني

(سيد سري)، بالطبع أعرفه ويعرفني ويعرفه كل ضابط له القليل من الخبرة في عمليات السطو المسلح، أعرف أنه يرأس تلك العصابة.

بدأ الخطر يقتربُ مني ومنها وبالطبع لن أسمح بذلك، فأنا قد أموتُ ولا يحدث هذا، أنا الوحيد هنا الذي يعلم ما ينبغي عمله..

"سيد" قلتُها بصوتٍ أعرف نبرته جيدًا، فهذا صوتي عندما أُهدِّدُ وفي لحظتها كان مسدسي مُشهرًا نحوه.

هو يعرف أني لستُ بالخصم السهل، ولستُ بالمبتدئ الذي يُخطئ في التصويب ويشهد بذلك الإصابة في فخذه اليسرى منذ أربع سنوات من مسدسي، الآن قد يعتبر البعض مافعلته عملًا أخرق، ولكن ببساطة فأنا أعرف أنه يفهم قواعد اللعب مع المحترفين، فحياته الآن في رصاصة من المسدس الذي في يدي، وهو يريد أن يحفظ حياته أكثر من أي شخص آخر فلن يُهدِّد بشيء قد يستفزني لإطلاق الرصاصة، ولن يهددني بقتل أحد الحاضرين، فهذا سيجعلني أُطلق رصاصتي ومجرد إطلاقي رصاصة تعني موته، فمسدسي يعرف هدفه جيدًا...

بوووم...ماذا حدث؟

"يا حماار" إنت عارف إنت عملت إيه؟

كانت هذه من سيد موجهة لأحد أفراد عصابته كان شاهرًا مسدسه نحوي، قدماي تسقطان..دم على كل قميصي وصل إلى قدمي بسرعة مذهلة، نظرتُ إلى حبيبتي في ضعفٍ وجدتها مفزوعة تنظر إليَّ، بدأت تمسك برقبتي التي أحسست

أنها مصدر هذه الدماء...

"مين قالك تضرب نااار...ياللا اخرجوا بسرعة.." مِن سيد لرفاقه.

خرجوا من المطعم واختفوا في ظلام الشارع، تركونا وسط ذهول الموجودين، وقد تجمَّدت الصورة على عيون متسعة وأفواه تأبى الانغلاق...لم يعد جسدي قادرًا على التماسُك، أنا على الأرض بين يديها

وهي تبكي بحُرقةٍ:

"أيها الغبي لِمَ فعلتَ هذا؟"

أنظرُ مُطمئنًا إياها:

"لا تخافي، أنا بخير"

تصرخ:

"إسعاااف... حد يطلب الإسعااف"



أكرِّرُ ثانيةً:

"لا تخافي؛ فأنا بخير"

تحتضني بقوةٍ:

"أرجوك لا تمُتْ"

أقول وأنا أحسُّ بثقل رأسي:

"لا تخافي أنا...بخير"

هي تبكي..الدنيا تُظلم شيئًا فشيئًا...وجهها الذي يطمئنني بدأ يذهب عن نظري..... ظلامٌ تامٌّ.

ولكني... لستُ خائفًا......فهي بخير.

تمت

فهرس المحتويات

متحف الميتين ٣

الجريمة الساحقة ٣

اللقاء الساحق ١١

الخطة الساحقة ٣١

المهمة الساحقة ٣٩

الأمل المسحوق ٣٩

السياسة والصياد ٤٥

المكرونة بسهولة ٦٥

مخدوع بالكامل ٧٦

مشاهد من الأنا ٧٨

مشاهد أخرى من الأنا ٨٥

الجديد في الأنا ٩٠

الجديد في الأنا ٢ .... ١٠٣

حياة بالصدفة ١١٥

هي بخير ١٢٦